نهاد رضا

# اثنان + صفر = ثلاثه

قصة

Sp
89
R

نهاد رضا

# اثنان + صفر = ثلاثة

(قصة)

# تمهيد

اثنان + صفر = ثلاثة ...

معادلة لا يمكن اثباتها بالمنطق الرياضي. لكن هذا هو منطق الحياة الواقعية اذا كانت مريضة النظم. فالصفر يرمز الى الفئات الخبيثة المتطفلة على العنصرين الاساسيين: الفنيين والشغيلة، في كل مجتمع فاسد.

وهذه المعادلة هي، في نفس الوقت، عنوان قصة تجري حوادثها في «أثمونيا»، وهي احدى الدويلات الشرقية، التي لم تكد تستقل بعيد الحرب الكبرى الثانية، وتتحرر من تسلط المستعمرين المباشر، حتى سقطت فريسة للفئات الخبيثة والعناصر القذرة والاصفار المنفوخة ...

أما اشخاص القصة فوهميون؛ وكل تشابه في الحوادث او الاسماء، يتراءى للقارىء، مع اشخاص حقيقيين، ليس سوى محض مصادفة.

المؤلف

تمتاز هذه القصة بكونها أول قصة عربية
تصاغ بحسب مفاهيم الادب المدرسي .
وتنفرد عن كل ما انتج في لغات العالم ، بأنها
تعتمد على نظرة طليعية جديدة شاملة تسمو
بالتفكير الانساني الى مستوى اعلى ، بفضل
تعاليم الفلسفة الانسجامية: نظرية الخلاص.

نهاد رضا

الفصل الاول

# الموظفون المثاليون

في منتصف ساحة الاوبرا في باريس ، حيث تتصالب مئات السيارات منذرة ، بحركتها العصبية الجافة المتقطعة ، بتصادم رهيب ، يقف شرطي مدرب ليتيح لهذه القوى المتنافرة المرور في أمن وأنتظام .

وعلى ضوء هذا التوجيه الرشيد ، يتسلل المارون ، بين الفينة والفينة ، من رصيف الى آخر ، في حركة متسارعة متلصصة ، ليعاودوا سيرهم المتسكع امام واجهات المخازن الغنية الجميلة او ليتابعوا سيرهم الحثيث نحو اعمالهم .

امام هذا الخضم الزاخر بالحركة والتقلب ، ينتصب بناء دار الأوبرا بحجارته العابسة الحزينة ، وهندسته الفنية الرفيعة ، ونقوشه وتماثيله المنبثة على جنباته في سخاء واتزان ، دون التعدي على التعبير العام للأحجام والخطوط .

وفجأة نفر من بين المارة ، على الرصيف المقابل لجناح

الاوبرا الايسر ، رجل مديد القامة ، واجتاز الشارع الرئيسي في سرعة ملحوظة ، ثم انحرف نحو اليسار وتابع سيره دقيقة او دقيقتين حتى اختفى داخل أحد الابنية .

* * *

من عادة السيد « روجيه دوبوا » ، رغم مشارفته العقد الخامس من العمر ، الانطلاق في سرعة ؛ تساعده على ذلك بنيته القوية المتينة من الاساس ، وحياته الداخلية المنتظمة الوديعة ، الا ان سرعته هذا اليوم كانت أكثر من المعتاد . فقد ألف هذا الشخص العملي ، اذا ما اعترضت مشكلة سبيله ان يمضي قدما في طريق الحل ريثما يصل الى نتيجة مرضية . ومشكلته هذه المرة معقدة بعض الشيء ، ومما زاد في تعقيدها تعدد منازلها.

فهو يرأس قسم العلاقات التجارية الخارجية لشركة تنتج وتصدر منسوجات من الحرير الصناعي، من النوع الرفيع العالي. وتتعامل بصورة خاصة مع بلدان امريكا الجنوبية والشرق الاوسط ، كما ترسل جزءاً متزايداً من صادراتها الى «اشمونيا»، احدى الدويلات الشرقية ، التي ولدت بعد الحرب العالمية الثانية واخذت تتجه بخطى سريعة من الاقطاعية الى الرأسمالية ، في طرائق استثمارها الزراعي والصناعي ، وفي علاقات الانتاج المطبقة بين ارباب العمل والشغيلة ، وخاصة بافساحها

المجال للفعاليات الوهمية التي اخذت تنمو كالسرطان في حلق هذه البلاد الناشئة .

والحقيقة ان روجيه دوبوا لم ينتق عمله عن ميل داخلي صحيح واستعداد عميق سليم ، بل كان شأنه شأن الكثيرين من امثاله ، في كل بلد تتدهور فيه النسب التقديرية والتسلسل القيمي منذ خضوعه لسلطان المال وتآمر الفئات الخبيثة .

فقد درس الهندسة الميكانيكية ، في مجتمع يفسح المجال اكثر ما يفسح ، للفعاليات الوهمية المدرة لأرباح جنونية . فلم يكد يمارس صنعته حتى هجرها الى الاعمال التجارية ، مدفوعاً الى ذلك بنظرته العملية في خضم الحياة الجارف ، وبرغبته في تأمين الدعة المادية لأسرته .

وفي مثل هذه الأعمال ، لا يكدر لذة الربح الوفير ، بالنسبة الى من بقي في نفسه شيء من الاحساس ، الا اعتراض بعض المشاكل العويصة الغريبة التي يخلقها تهافت الشرهين ، دون حدود ، على ينابيع الربح السهل المشبوه .

* * *

فتح روجيه باب القنصلية ، ولم يكد يدخل البهو حتى الفى نفسه امام رأس ضخم مستدير ، قد أفلس من الشعر ،

ووجه معبر تخونه عينان جامدتان شاحبتان خنقها دخان التبغ الفرنسي المحترق في غليون أثري . فاتجه نحو هذا الرأس،في بطء مصطنع ، ثم حياه قائلاً :

— نهارك سعيد يا سيد .

فرفع الآذن (جاك) رأسه بحركة متثاقلة ، فبدا للعيان صدره المنتفخ ، المتجمع من كثرة الجلوس خلف الحاجز الخشبي، الفاصل بينه وبين اصحاب المصالح ، ثم رد التحية بصوت خافت فتسربت الكلمات مختنقة ، من جنبات الغليون البالي ومن القسم الحر من شفتيه .

واتصل ردالآذنالدخاني ،بصوتالزائر الواضحوهويسأل.

— هل حضر القنصل العام؟

— لم يحضر بعد .

— امر غريب . انقضت ساعة منذ موعد الدوام .

— ساعة او ساعتان .. قلت لك : انه لم يحضر ... وربما لن يحضر .

وبدت على الزائر علامات الاستغراب والاستياء ، وما لبث ان قال في حدة ظاهرة :

— لقداتصلت به هاتفياً اكثر من عشر مرات في مكتبه خلال

ساعات الدوام ، في الاسبوع الماضي . وفي كل مرة كان يقال لي..

«خرج حضرة القنصل العام او لم يأت بعد حضرة القنصل العام او لن يحضر حضرة القنصل العام» .

ثم اتصلت به هاتفياً في منزله ، فتهرب اكثر من مرة من الاتفاق معي على موعد . ولما الححت في طلبه وعدني بالمجيء هذا اليوم ليستمع الى قضيتي .

فرد عليه الآذن « جاك » بمنطق الواقع الذي لا تنضب فكاهته المؤلمة :

ـ ماذا تعيب على القنصل العام ؟! انه ، كأقرانه في الحلقات العليا من الادارة ، مشغول دائماً وابداً بمهام خاصة ، يغيب عنا ادراكها على حد زعمهم وهي على كل حال لا تخصنا . ثم هناك الراحة النهارية الضرورية إثر حفلات السلك السياسي الكثيرة المتعبة . تصور نفسك انك قضيت سهرة حمراء ، فهل بامكانك الاستيقاظ قبل الحادية عشرة ؟!

وسكت جاك لحظة كأنه ينتظر جواباً على تساؤله ثم تابع الكلام :

ـ ... ويجب ان لا ننسى يا سيدي ، انه كأمثاله في السلك بشر ، ولهم مشاغلهم الخاصة من استقبال قريب الى توديع حبيب .

وهنا قاطعه روجيه ساخراً حانقاً وقال :

ــ لم لا ؟ الناس يتزوجون فيمضون شهر العسل في بلد أجنبي ... على ضفاف بحيرة هادئة او فوق جبل ظليل الشجر، لتبقى لهم الذكريات الحلوة طول العمر . لكن المصيبة ان هذا الموظف ، فيما يبدو لي ، ليس في شهر عسل . . . بل في سنة عسل وخمر .

وكأنه شعر بتجاوزنه الحدود.او كأنه تذكر ان التجارة كالسياسة لا تنتج الا بالحديث المنمق والكلام الملفق ، وانه قدم في مهمة تجارية ، عليه انجازها بالصورة الملائمة . فليس من شأنه اذن ، او على الأقل ليس من مصلحته ، في مثل هذا الموقف ، التعريض بسلك يخيل اليه انه فاسد .

وساعده على عدم الاسترسال ، موقف الآذن الذي ادرك ولو متأخراً ، ان كلماته الصادقة البريئة قد ساقته الى التعريض برؤسائه . فقد كان جاك من هذه الزمرة المحدودة الآفاق الفكرية التي تتبنى افكاراً مبررة لأعمال جلاديها ... ، وتمكنهم من رقابها على الدوام . لكنها ، حين تتحدث في ذلك ، كثيراً ما تفضح اسيادها من جوانب الكلام . فتبدو حينئـــذ كالحملان البريئة المدافعة عن الذئاب الشرسة .

انقضت لحظة صمت ، مسح خلالها جاك جزن غليونه بيدين مرتجفتين، بينما اتجه روجيه يميناً نحو النافذة العريضة المطلة

على ساحة داخلية كدست فيها صناديق فارغة وبعض الكراسي المتكسرة وغيرها من المهملات . وعلقت بها انظاره ، وهو شارد الذهن ، ثم استفاق على تكتكة رتيبة صادرة من الواجهة المقابلة. رفع رأسه فأبصر خلف النافذة المقابلة ، فتاتين منهمكتين في الضرب على الآلة الكاتبة . وكأنما اوحى اليه هذا الدق الرتيب المنتظم ، ان الزمان ينقضي بالنسبة اليه .. دون جدوى ، فانكفأ راجعاً نحو الآذن ، في حركة متسارعة : ولما صار أمامه ضرب بيده اليمنى على الحاجز الخشبي وهو يردد :

- صبرت ما فيه الكفاية . يجب ان يكون هناك وسيلة للقاء القنصل العام .

فرد عليه الآذن بصوت مرتفع :

— وماذا تريدني ان افعل يا سيدي . تعلم الصبر .

ثم عاد الى غليونه القديم يفركه ويرسل منه الدخان .

الفصل الثاني

# الخبيثون ... والطيبون

بعد ثلاثة أيام ، عاد ( روجيه دوبوا ) الى دار القنصلية ، وكان قد حصل ، قبل يوم ، على موعد ثان من القنصل العام ، بعد ان اتصل به هاتفياً في منزله .

ولما مثل بين يدي الحاجب جاك وسأله عن القنصل العام ، فوجيء بنفس الجواب السابق :

— آسف يا سيد . لم يحضر القنصل العام .

فطار عنه وعيه وطفق يصرخ محتجاً . فأقبل على صياحه شاب متوسط الطول ، مهمل اللباس بعض الشيء ، يجمع بين الشرق والغرب في محياه وملامحه العامة . وبادر الزائر المحتد بقوله :

— خفض قليلاً من صوتك .

ثم سأله :

— لعل جواز سفرك لم ينته بعد ؟

فأجابه روجيه بعد أن سيطر على نفسه :

— ما جئت لهذا الأمر ، بل عندي موعد مع القنصل العام. وعبثا أحاول الاجتماع به لأنه دائماً غائب .

لما كان الشاب المتدخل على علم بأوضاع السلك الداخلية، فانه أراد التعرف على القضية ، عله يتمكن من قضائها مباشرة أو يمهد الطريق الى ذلك . فدعا روجيه الى مرافقته ودخل به غرفة صغيرة ، معتمة قليلاً ، فيها طاولة ضيقة طويلة ، كدست عليها الملفات والاوراق وانتصبت على حائطيها ، في اتجاه الطول، خزانتان ، فحجبت الأولى منها جزءاً من نور النافذة ، بينما التصقت الثانية بكرسي الموظف الشاب .

وفي هذه المرة ، كما في كل مرة ، انزلق الشاب بصورة جانبية ، في الممر الضيق ، ليجلس الى طاولته . ثم دعا الزائر ، بلهجة مؤدبة ، الى الجلوس على الكرسي الوحيد الموجود الى اليسار . ومن حسن حظ روجيه كان الكرسي فارغاً ، اذ من العادة أن يكون محملاً بأكداس الأوراق الفائضة .

ابتسم الشاب للزائر ، في خجل ، كأنه يعتذر عن صغر الغرفة واختناقها بأثاثها وأوراقها وملفاتها ، وان كان في قرارة نفسه يعتقد ان هذه الغرفة المتواضعة هي قلب القنصلية النابض وذراعها المنتجة . ثم استفسر من الزائر عن اسمه وسبب سؤاله

عن القنصل العام . وما كاد ينتهي من الاسئلة المألوفة في مثل هذه الأحوال ، حتى رد عليه روجيه :

ـ انني المسؤول عن العلاقات التجارية الخارجية في شركة منسوجات . وقد حدثت لي مشكلة تؤثر في اسم الشركة كما تهدد مركزي فيها . منذ مدة وأنا اتصل بقنصلكم العام للوصول الى حل نهائي ، لكني لم اتمكن الى الآن من مقابلته واقناعه بضرورة الاهتمام الجدي بالقضية .

ـ ما هي هذه القضية ؟

ـ اتفقنا مع تاجر كبير من بلدكم كي يصبح الوكيل الوحيد لشركتنا فيها ، واشترطنا عليه ان لا يأخذ وكالة من شركة أخرى تنتج نفس النوع من البضائع . وسارت بيننا الأمور على ما يرام خلال مدة قصيرة ... الى ان حدثت لنا مشكلة مزدوجة .

وبدت على الشاب علائم الاهتمام فاستفسر عن تطور القضية ، فأجاب روجيه :

ـ اما الخلاف الأول فسببه هذا التاجر العميل ، لأنه أخذ وكالة لمواد نسيجية مشابهة ، من شركة ايطالية منافسة ، وأما الخلاف الثاني فالمسؤولية فيه معقدة .

— ما وجه التعقيد فيها ؟

— وجه التعقيد فيها ، ان شركتنا أسندت الى تاجر آخر في بلدكم ، وكالة توزيع ثانية ، محصورة في شخصه . قد يبدو لك ان الخطأ بسببنا ، الا ان الأمر أقل بساطة مما يظن . ذلك ان التاجر الثاني كان قد قدم في سيارة رسمية تابعة لسلككم السياسي وكانت كل المظاهر المحيطة به ، توحي ان له صفة شبه رسمية . ولما كانت شركتنا تشعر بوطأة منافسة الشركات المماثلة ، وكانت تحرص، في ذات الوقت ، على اقامة أحسن العلاقات مع الرسميين لم يسعها الا الموافقة لما طلب اليها التاجر الثاني ذلك.

— القضية اذن في حكم المنتهية .. لان التاجر الأول أصبح عميلاً لشركة أخرى منافسة لكم ،في حين أصبح الثاني وكيلا لشركتكم .

— قولك صحيح .. واعتذر ان قلت .. في المنطق المجرد . أما في الواقع فان التاجر الأول حشر المسؤولين الحكوميين في القضية ، كما لم يعدم الثاني نصيراً في الاوساط الرسمية .ونحن الآن أمام عميلين متنفذين ، يدعي كل منهما الانفراد بالوكالة ،مع العلم ان احدهما يتعامل في نفس الوقت مع شركة منافسة . تصور اذن دقة موقف شركتنا ..

حاول روجيه ، بعدما قص الخطوط الرئيسية للمشكلة

ان يتوسع في سرد بعض التفاصيل ، الا ان الموظف الشاب أوقفه قائلا :

– فهمت نوع القضية ويؤسفني انني لا استطيع ان اكون ذا نفع .

لئن فهم هذا الموظف الشاب ، واسمه « وليد المنتصر » طبيعة المشكلة بسرعة ، ولم يحتج الى الشروح والتفاصيل ، فذلك لأنه لا ينظر الى الحوادث العرضية المستعصية كظاهرات سحرية ، بل يضعها في اطارها الواقعي ويفحصها على ضوء نظرة علمية متماسكة . فكان يعلم أن بلاده اشمونيا انتقلت ، بعد انتهاء الحرب الكبرى الثانية ، في سرعة جنونية ، من حياة ريفية بسيطة ، الى حياة رأسمالية ، وحشية الطرق والمناهج . فليس بعجيب ان تلجأ العصابات المتناطحة ، في مثل هذه المرحلة التاريخية ، الى أحابيل وحيل ، يعجز عن تصورها حتى مؤلفو ألف ليلة وليلة .

وتابع « وليد المنتصر » كلامه فقال :

– لقد دعوتك واستمعت اليك ، ظناً مني أنها مشكلة ادارية بسيطة يمكن حلها عن طريقي . ولئن كنت أقوم فعلاً بالعبء الأساسي من العمل ، فانني لست سوى موظف محلي بسيط ، أعمل لقاء مبلغ زهيد يساعدني على انهاء دراستي . إعلم

انّ قضيتك هذه تخص المراجع العليـا . وبحـكم التجربة أجلب انتباهك بصورة خصوصية وأخبرك بأنها تحتمل حلولاً عديدة، بحسب قوة الأشخاص الذين سينهضون بها .

فاذا أردت الحل الأنسب فعليك بأوسع الأشخاص نفوذاً ، وأكبرهم تأثيراً . إنك تلجأ الى القنصل العام . . هذا حسن . الا ان السيد ( رامي ) معاون القنصل ، وان كان أقل مرتبة من الناحية الرسمية ، فانه أوسع امكانية ، وأطول باعاً ، لان له صلة قرابة مع شخص لا يُرَد له طلب .

اعتبر ما جرى بيننا من حديث أمراً شخصياً . اما من جهتي فتأكد انني لا اتمنى لك الا اليسر والتوفيق .

لما شعر روجيه ان الشاب قد عمل كل ما بوسعه ، وان بقاؤه قد يعيق سير الأعمال ، استأذن بالانصراف .فودعه وليد الى الباب في لطف واحتشام .

* * *

بعد ان تناول « روجيه دوبوا » طعام العشاء مع افراد أسرته ، خلا الى زوجته ليحادثها في هدوء وسكينة ، كعادته في أكثر الأحيان . وطبعاً لم ينس حادث اليوم الأساسي . فأخبرها كيف نصح له موظف شاب باللجوء الى القنصل المعاون

وكانت زوجته تصغي اليه مبتهجة ، لا سيما أنها لاحظت على وجهه أمارات التفاؤل . اما هو فقد اكتفى بعرض التطور الأخير المشجع . ثم انتقل الى الحديث عن « وليد المنتصر » الموظف المحلي الشاب .

لما كانت معرفته بوليد محدودة فقد كان وصفه اياه نوعاً من الانطباعات العامة ، المستخلصة بالملاحظة المباشرة والمقارنة مع تجارب أخرى ، ولوناً من الحدس التخميني المبني على الاستظراف الضمني . ان مثل هذا الشعور يخامر كل فرد نمت مداركه ودق حسه ، لكنه كان عند « روجيه » أقوى وأشد من المعتاد .

قال لزوجته :

ـ حوادث اليوم رسخت من اعتقادي ان من الخطأ الحكم على جماعة من خلال فرد ، وعلى فرد من خلال جماعة . فالاعتبارات المسبقة تبعدنا عن الواقع ، وتعمينا عن تشوف الصحة والعدل في الأحكام . فاحتكاكي مثلاً بالتاجرين العميلين ولد في نفسي آنذاك نوعاً من المقت والاستقباح . كانا مزدوجي الشخصية ، لا عن غنى في النفسية ، بل عن لؤم وخبث . وخيل الي ، حيناً ما ، ان اهل تلك البلاد جميعهم متلاعبون ، غليظون ، دخيلون على التقدم والمدنية . ومما مكن من فكرتي الخاطئة بحثي عن

القنصل العام دون جدوى . ألا ترين معي ان مثل هذا الشخص عبء على النفس ثقيل ، وذلك الملحق التجاري الذي رافق التاجر الثاني في سيارة رسمية وكان أصل البلاء ، الا تظنين انه يمثل انهيار الدولة الخلقي ، وتدهور مفهوم السلطة والنظام فيها ؟! .

إلا ان تعرفي على هذا الشاب، قد ازاح عني تلك الفكرة السوداء . كنت حين اتحدث الى أحد التاجرين ، أحس دائماً ان لسانه ينطبق بلغة تخالف تعبير عينيه . اما وليد فتتحدث عيناه ولسانه بلغة واحدة ، بلغة تزرع الأمن في القلب والثقة في النفس . كل شخص يتمنى ان ينسب الى بلده امثال هذا الشاب ، لأن سلامة تفكيره ونقاء سريرته يعصمانه عن خيانة الجوهر الانساني .

اما التاجران واشباههما ، والقنصل العام وأمثاله ، فيشكلون خطراً كبيراً ، ليس على الأغراب فقط ، بل على ابناء بلدهم ايضاً ، لأنهم يعيشون في الحياة الاجتماعية بأهوائهم الانانية ولمنافعهم الخاصة .

* * *

لم يدرس روجيه العلوم الاجتماعية الانسانية . الا ان

دراسته العلمية ، ودقة ملاحظته ، وسرعة تفهمه ، وصدق نيته، كل هذه العوامل مجتمعة ، قد خلقت فيه امكانية تقدير المواقف • ودقة التعبير عن خلجات الواقع .

كانت افكاره ، نتيجة لذلك ، كثيراً ما تلتقي مع اجتهادات أعمق الفلسفات . وكانت زوجته تقدر فيه هذه الناحية ، وتستمع اليه بشكل غريزي مزيج بالعاطفة . وبعد ان انتهى هذا المساء من التعبير عن أفكاره ، من خلال حوادث اليوم المنقضي ، طلبت اليه الذهاب الى النوم ، والتفكير في طريقة لبقة لمواجهة القنصل المعاون ، والعمل على الوصول الى الحل الأنسب .

الفصل الثالث

# البعوضة المزركشة

دخل الحاجب غرفة «رامي المسعودي» القنصل المعاون، واستأذنه بدخول « روجيه دوبوا » فبدت على « رامي » علامات الاستياء . ثم قال للحاجب ، وهو يتثاءب :

ـــ لدي اعمـــال كثيرة . دعـــه ينتظر قليلاً ، ومتى دققت الجرس فاسمح له بالدخول .

ما كاد الحاجب يخرج ، حتى انتصب «رامي» على قدميه . واخذ يذرع أرض الغرفة بقدميه وهو يتمتم :

ـــ لقد وعدتني هذه الملعونة بان تخابرني في الساعة العاشرة .. لِمَ لمْ تفعل .. لم لم تفعـــل ؟ ، . تأخرت اليوم عن الدوام من اجلها . بل كل يوم اتأخر من اجلها . آه .. انها تهزأ بي . كلا ، كلا . هذا مستحيل . انها ناكرة جاحدة . هذا ممكن . لقـــد دعوتها الى دار الاوبرا ، حيث تحملت من أجلها انين المغنيات

وعواء المغنيين . . ومرتين .. بل ثلاث مرات دعوتها الى احسن المطاعم . . عدا مصاريف التنقل والهدايا . لعلهـــا تنظر الى الشرقيين في غطرسة . . لكنني اتخذت الحيطة كي اتقي شر النساء. لقد جعلتها تعتقد انني اسباني من طرف أمي ، وايطالي من طرف ابي ، وان اسمي « فرناندو » . كل شيء قد دُرس بحسب خطة محكمة ، ونفذ بدقــة تضمن النجاح ، فلماذ لم تخابرني ؟ لمــاذا ؟ لمــاذا ؟ :

واسودت الدنيا في عينيـه ، فرجع الى كرسيه واودع رأسه بين يديه ، متكئــاً الى طاولته الفسيحة الفاخرة ثم عاد الى التمتمة .

ــ « يا لها من حياة! يا لها من حياة ! . والاقبح انني غارق في العمل حتى الاذنـين . هناك اكثر من عشر اوراق تنتظر توقيعي اجل التوقيع ، ودائماً التوقيع.. ولا شيء سوى التوقيع. آه ! ما اشق عملي . ليس الجماد وحـده في انتظاري ، بل هناك ايضاً هذا الزائر الفضولي . يا له من ثقيل ! » .

لينتظر اذن « روجيه » ساعة او ساعتين . لعله لا يعلم ان الاوراق البائسة تنتظر منذ عـدة ايام . ولعله لا يعرف ان اصحابها قد يحولون الى موظف ثان .. ثم الى ثالث ـ بل ربما يردّون في النهاية الى الاول، الذي قد يتنصل حينئذ من اختصاصه

بمثل هذه القضية . هكذا تضمن فوضى الادارة عدم قضاء المصالح ، بالتهرب من المسؤولية ، وبتقاذف الاختصاص بين الموظفين ، بينما لا تمنع بعضهم من الانقضاض بشره على الاموال العامة ، باسم الحق والنظام واداء الواجب .

لماذا نجعل من « رامي » القنصل المعاون كبش الفداء؟ ولماذا نثقل كاهله بالنقد والتجريح ؟ صحيح انه لا يتقن اية لغة اجنبية . وصحيح أيضاً انه حصل على الاجازة بدراسة شهرين او ثلاثة خلال ثلاثة اعوام ، جملته يلم تقريباً بمعلومات قسم من اساتذته الجهابذة . زد الى ذلك النقص في استعداده النفسي ، وعدم كفاءته المعنوية للقيام باعباء منصب كمنصبه . كل ذلك صحيح . الا انه ليس الوحيد في هذه المصلحة او سواها ، الذي تسلق سلم الادارة ، فيظروف بلاده الخاصة ، بحركة بهلوانية وبمساعي قريب قوي مقتدر .

لقد تقدم اكثرهم بصورة مشبوهة . هذا لانه من اسرة كبيرة تعمل كعصابة متكاتفة ، في مجتمع يزهق الاكثرية التي تخوض معركة الحياة بصورة فردية ،وذاك لأنه ابن نائب سليط اللسان ينتج الكلام المعطر في برلمان كاريكا توري ، وذلك لأنه قريب مهرب او محتكر بيده مقادير البلاد ، او نسيب سياسي محترف اختار لنفسه ان يكون اجيراً مطيعاً لجميع الفئات الخبيثة

وذنبا قذراً لكل خنزير كريه .

اما « رامي » فهو ابن الشعب . ولد وترعرع في مدينة صغيرة . ولئن واكبه الحظ وحقق لنفسه ما حقق من نجاح وتقدم ، فليس ذلك مجرد مصادفة . كل ظروفه كانت تدل على ان مصيره الحيره ، والقلق، والشعور بالغبن ، شأنه في ذلك شأن امثاله من أبناء الأسر الصغيرة والمتوسطة ، امام اعتصاب الأسر المهيمنة ، في ظل الرأسمالية الغاشمة ، في مرحلتها المندفعة الهوجاء. الا ان حادثاً خاصاً حصل لأسرته فغير من مجرى حياته . ولولاه لبقي مثل المستضعفين من اقرانه ، اضيع من الايتام في مأدبة اللئام .

لرامي المسعودي اخت فريدة في الحسن .. بحسب مقاييس الجمال المحلية . رآها « علي بك » فتوله في حبها . وهو احد كبار تجار الأقطان والمسلفين الزراعيين . ويقال انه يعمل أيضاً من حين الى آخر ، في تهريب المخدرات ، لدعم ميزانيته وامــلاء الزوايا الفارغة من خزانته . فدفعه حبه الى الزواج بها . وهو، منذ ذلك اليوم السعيد ، لا يعصي لها امراً .

ان اطاعة « علي بك » لزوجته ، وتزلف بعض الحكام اليه ، اصبحا عاملين متساندين دفعا برامي الى السلك السياسي ،

بعد ان مهدت له بعض الصحف المأجورة لقاء مبلغ مناسب .

* * *

بينما كان « رامي » غارقا بين يديه ، وخياله الخصب يقذفه بين احضان حبيبته العصية ، كان المسكين « روجيه » يسرح النظر في ارجاء البهو ، وهو جالس على كرسي الى يسار الحاجب . انتظر وانتظر ، فلما شعر بطول الوقت اخذ نشرة باللغة الفرنسية ، كانت ملقاة باهمال على طاولة منخفضة تحتل منتصف البهو ، وشرع يقلب صفحاتها . كانت نشرة سياحة مصورة ، تتحدث باسلوب خلاب جذاب ، عن شتى مرافق الحياة في بلاد رامي . وعلى احدى الصفحات قرأ روجيه :

— « بلادنا الحبيبة تفتخر بان لها اجمل دستور . وهي ديموقراطية برلمانية ، تفسح المجال بعدل ومساواة للجميع ، وتطلق حرية الصحافة والكلام .. الخ » .

ثم رأى على صفحات اخرى ، صوراً لمعمل حديث ، وجرارة ضخمة ، وطبيب يفحص بعض الاطفال في مستوصف حكومي كامل التجهيزات .

الا ان رنين الجرس ، انتشله من احلام هذا العالم النموذجي . وما لبث ان سمع صوت الحاجب يدعوه الى الدخول .

دهش روجيه من اتساع الغرفة ومن نافذتيها الفسيحتين واثاثها الفاخر . وبدا له القنصل المعاون خلف طاولته الضخمة الثمينة ، منكمشاً ضئيلاً . ولما صار امام طاولة القنصل مد هذا يده،دون ان يحرك ذراعيه، فاضطرروجيه الى الانحناء .ولما التقت اليدان فوق الطاولة الفسيحة ، سلط « رامي على الزائر نظرة جامدة قاسية ، فحسب الاخير نفسه امام صنم آدمي ، له شعر صقيل ملمع ، وشارب مخطط مفحم ، وربطة عنق زاهية اللون مقوسة الى امام .

ذلك ان وجانب السلك الخارجي جعلت من رامي ، الذى حشر في هـذا الميدان حشراً ، شخصاً جديداً استعاض عن تبديل الشخصية الداخلية المستحيل ، بهيئة خارجية مدروسة محسوبة . ولئن كان يظن في قرارة نفسه ، وفي تصريحاته المتكررة ، انه شرارة شاردة تحترق في وسط جاحد منكر ، فان رأي الناس فيه أن التغيير طرأ على مظهره الخارجي ولم يتعداه. ومن عجيب التصرف وسخفه وتناقضه انه ، رغم ظنه الخاص بشخصه ، لم ينس ان يقف امام مرآة حائطيـة ، قبل ان يقرع الجرس ، حيث شدد من تقويس ربطـة عنقـه ، وصمغ بلعابه شاربه المدلل .

لذلك شعر « روجيه » بشيء من الارتباك ، وهو يصافح

هذا الصنم الحي المتجهم ، منحنياً دون ارادته ورضاه . وتلاشت عن ذهنه عبارات المجامله المعدة ، وصيغ العرض المهيأة . الا انه استعاد بعد قليل ، شيئاً من طمأنينته ، وتمكن من عرض مشكلته بصورة مفهومة ، بسيطة الكلمات ، متقطعة الجمل . ولما احاطه رامي علما بالقضية ، لعن في نفسه هذا الزائر ، لأنه كان قد تصور ان الأمر يتعلق بمراجعة بسيطة ، او بتوقيع شكلي كما هي العادة . وهمّ بصرف المراجع بصورة مباشرة ، الا انه وقع تحت تأثير غبطة داخلية مريحة ، سببها انه استطاع لأول مرة في حياته ان يفهم الخطوط الأساسية ، لحديث في اللغة الفرنسية ، فيه شيء من التعقيد . فعدل عن فكرة الصرف الخاطرة . واتكأ على كرسيه البرام ، وشردت عيناه كأنهما تبحثان في الغيب عن الكلمات ، بينما تسللت يده اليمنى الى شاربه المخطط المحنط ، لتمسده وتصقله . ثم تفوه بقوله :

— سننظر في هذه القضية . سننظر في هذه القضية .

فلما نبهه روجيه الى ضرورة ايجاد حل ملائم ، أجاب بقوله :

— الأمر بسيط . الأمر بسيط . سنضغط على التاجرين . سنعيد الحق الى اهله . ستجري الأمور بمقتضى العدالة . ستسير المشكلة في طريق الحل . اذا ما ابتدأنا فسننتهي . كن

هادىء الفكر مستريح البال .

لما كان روجيه طيب القلب تقي النفس ، جاهلاً بالوعود البخورية والشراك المنكبوتيـة اطمأن الى كلام المهرج وصدق وعوده . وحـين هم بالانصراف ، بعد تقديم الشكر ، تكرمّ « رامي فحرك ذراعـه وانحنى قليـلاً ... غارسا الثقة في نفس روجيه . والتقت يداهما ، هذه المرة ، في منتصف الطريق ، فوق الطاولة الفسيحة .



الفصل الرابع

# هذه البعوضة من هذا المستنقع

التفت « روجيه » الى زوجته، التي كانت جالسة بالقرب من المذياع تستمع الى موسيقا خفيفة ناعمة ، وقال لها :

ــ أخيراً انفرجت الازمة . وانتهت مشكلة الوكالة في خير وسلام :

ــ الآن أفهم سبب انشراحك .

ولما طلبت اليه المزيد من التفاصيل ، نقل اليها كلمات « رامي » المطمئنة ، ووعوده الفردوسية. ولم ينس وهو يخبرها، ان يصف لها حركاته الغريبة ، وتصرفه المتكلف . ثم حاول الانتقال الى موضوع آخر ، فاوقفته زوجته قائلة :

ــ هل فقدت صوابك ؟ انك لم تعد الا بالسراب . ثم اثبتت

له ، بالحجج المعقولة ، ان وراء هذه الكلمات المطاطـة ، المكللة بالعطور والبخور . تختفي خيبة الأمل . والنساء في أمثال هذه الامور أكثر دراية وعلماً من الرجال . وانتهيا ، بعد ان اتضح لروجيه ضلاله ، الى ضرورة ذهابه ، لمشورة وليـــد الموظف الشاب .

* * *

دهش وليد لما الفي روجيه امامـه . فدعاه الى الجلوس، في ادب مرفوق بابتسامة خفيفة . ثم قال له متسائلاً :

ــ لعلك عدت بالاخبار السارة ؟ .

فأجاب روجيه :

ــ والله لا اعرف كيف أصف لك مجرى الحوادث . ثم حكى له بدقة سير القضية وشكل الوعود وتحفظات زوجته . وسكت منتظراً رد الموظف الشاب . اما الأخـير فانه نهض وتأكد من انغلاق الباب . ثم اقترب من روجيـه وقال له في صوت منخفض :

ــ اريد التحدث اليك كصديق. وتحفظي ليس عن خوف من المامهم بلون تفكيري ، بل عن رغبة مني في عـدم الضرر بقضيتك .

في الحياة فئات لا تخشى انساناً ، ولا تحني الرأس امام مخلوق . وجود مثل هذه الفئة ضروري ، كي تسن الطريق لغيرها من الطيبين الحائرين او المترددين . انها تمهد السبيل بافكارها، وتنيره بمواقفها . اتريد معرفة رأيي في رامي وامثاله؟! انهم طفيليون يستمتعون بالحياة من بعض زواياها الفاسدة ، على الحساب العام، ونفاية شكل جديد قذفت بها الأوضاع الاجتماعية والسياسية ، في مرحلة هوجاء من التطور الاقتصادي . وراء « رامي » يختفي علي بك ، ووراء الأخير أمواله ، وهذه هدية مجتمع فاسد للحثالات أمثال علي باك .

ومن عجب ! ان هذه الحفنة المريضة تدعى الصحة ، مختفية وراء أفكار مثالية مخدرة ، واحزاب تتستر باسماء خداعة توحي بالعمل للصالح العام . ولئن عملت متآخية ضد ابناء الشعب فانها ، في تكالبها على مصلحتها وتهافتها على منفعتها ، لاتتورع عن الترافس .

قال وليد ذلك ثم سكت لحظة الى ان عاد يقول :

ـ فيما يخص مشكلتك ، يجب ان تعتبر نفسك خاسراً منذ الآن ، اللهم الا اذا تسلحت بسلاحهم . وتحفظ زوجتك صحيح تماماً ، لأنك ، بالنسبة الى رامي المسعودي ، بقرة غير حلوب ،

لا تستحق الا الاهمال . اما الآن فمفتاح سير الامور بيدك . فان اردت النجاح ، فما عليك الا السير بحسب خطة محسوبة على الطريقة المحلية . ان علي بك يشكل قوة لها وزنها . . . فاذا ما اضيفت هذه القوة الى قوى أحد التاجرين ، وعملت كل هذه القوى متكاتفة ، فانها ستزيح التاجر الآخر مع اعوانه وانصاره .

ما كاد وليد ينتهي من كلامه ، حتى اعترضه روجيه بقوله:

ـــ تحليلك أخاذ . وطريقتك المعروضة عملية ومعقولة . لكن ... كي يتدخل علي بك ... يجب اقناع رامي ، فكيف السبيل الى ذلك ؟ .

وانقضت لحظات صمت ، تفاعلت خلالها نفس وليد بكل قواها المتضاربة ، واخيراً استقر على رأي ثابت فأجاب :

ـــ اعرف وسيلة قد تمكننا منه . سأدلك على نقطة الضعف فيه ... فاذا ما استطعت الضرب على وترها فان لك املاً كبيراً بالنجاح . كنت أود لو استطيع الآن الافضاء اليك بسره ، الا ان الشرح قد يستدعي قسطاً من وقتنا ، والعمل كما ترى متراكم امامي ، وليس عندي متسع كاف من الزمن . فاذا ما أحببت فبامكاننا الالتقاء خارج القنصلية ، لنتحدث في الموضوع في هدوء وتبصر .

وتواعدا على اللقاء في مقهى السلام في الساعة الخامسة من اليوم التالي ..

★ ★ ★

جلس روجيه لتناول العشاء مع زوجته التي احتلت الكرسي المقابل . وما انتهى من اكل المقبلات ، حتى أمسك بفخذ الدجاجة المحمرة ، وتنشق رائحته بعمق ، ثم توجه بكلامه الى زوجته ممازحاً :

ـ لا ادري ما هي نقطة الضعف في « رامي » ، أما انا فهذه نقطة ضعفي .

ثم عض فخذ الدجاجة فنهش منه لقمة كبيرة .وضحكت زوجته وقالت :

ــ : لرامي اذن أسرار . .

ـ : نعم لهذا الصنم البشري اسرار . ومتى عرفناها فسنضغط على الزر .. وحينئذ سيتحرك الصنم بمرونة اكثر .

ثم انتقلا بحديثهما الى وليد . فقال روجيه :

ــ : شكل هذا الشاب ومنظره الخارجي شيء بين الغرب والشرق . اما افكاره فهي من الشرق والغرب ، وليست منها في

نفس الوقت . يدرك الواقع والحوادث بدقـة ، ويعرض حلولاً على الطريقة المألوفـة . وفي ذات الوقت ، يُشعر محادثه ، ان في الواقع امكانيات أخرى عجيبـة ، غير مألوفة . يبدو في غرفته الضيقـة ، كأنه حبيس الأوراق المكدسة والعمليات الدوارة الفارغة ، في حين تبين كل عبارة منه ، انهـا صادرة عن نفس عميقة تنهل من آفاق بعيدة الحدود .

فقاطعته زوجته مداعبة بقولها :

ــ لقد عادت اليك نزعتك الصوفية . دائمـاً تبدأ الحديث عن احدى مشاكلك ، ثم لا تلبث ان تستهويك ناحية فكرية ، او زاوية تسمح لخيالك بالشرود ، فتمضي مـع سجيتك ، ولا تلبث ان تنسى مطلع الحديث . انت لا تعرف الا القليل عن هذا الشاب . وعوضاً عن نسج الخيوط ، حول شخصه وافكاره ، يجدر بك الاهتمام بأعمالك .

وهنـا عاد روجيه الى الكلام ، في صوت منخفض وهو مكب على الطاولة . كأنه يخاطب نفسه وزوجته معا :

ــ آه لو تعلمين . الانسان قد يعيش جزءاً طويـلاً من حياته ، بغير شخصيته الحقيقة ، تاركاً قياده للحوادث . ولكن هل استطيع ان اكون من هذه الزمرة ؟!

هل أستطيع ! ؟ .

وادركت زوجته انه يمر بفترة ازمــة نفسية . وكانت تعلم ان زوجها لم يخلق للأعمال التجارية وأحابيلهـا الدنيئة . وكانت دائمـاً تأمل بأنه سيألف تدريجياً هـذا الوسط ، لذلك اسرعت في انهاء جلسة الطعام . وطلبت اليـه بعد ذلك ان يذهب الى النوم ، آملة تحرره من افكاره السود .

الفصل الخامس

# المؤامرة الشريفة

من عادة وليد المنتصر ان يخرج كل يوم من عمله ، في الساعة الواحدة ، وان يحث الخطى ليصل قبل توقف مطاعم الطلبة عن توزيع الطعام . ثم يذهب بعد ذلك الى مقهى صغير ، حيث يتناول القهوة في صحبة صديق او صديقين . وفي امثال هذه المقاهي الصغيرة ، المسماة بصالونات الشاي ، كثيراً ما تنشد بعض الطالبات الراحة ، في مأمن من المداعبات الثقيلة التي تحدث احياناً في بعض مقاهي الحي اللاتيني الكبيرة . ومن حين الى آخر ، يعقد بعض الطلاب حلقة او اثنتين ، وينهمكون في مناقشة سياسية او في بحث حول دراستهم ، غير ملتفتين الى هذه الطالبة المكبة على كتابها ، ولا الى هاتين الفتاتين اللتين تتحادثان في صوت منخفض ، رغم حدة بعض الاصوات ، وتضافرها في افق المقهى المحدود .

وهكذا في امثال هذه المقاهي الصغيرة ، تحقق كل فئة حريتها ، رغم ضيق المكان ، بانكماشها على نفسها . الا ان هـذا الانغلاق لا يمنع ، من حين الى حين ، الانظار من الشرود الحالم او الالتقاء بعينين جميلتين هاربتين من حلقـة أخرى . لا بأس بذلك ما دامت الحلقة غير مهددة في استقلالها ، ولا بأس أيضاً بتهادي بعض الكلمات اللطيفـــة ، بمناسبة كرسي يُزاح ، او لتسهيل مرور شخص ، او لتكييف وضع حلقتين متجاورتين ، بعد تزايد او تناقص افرادهما .

وبعد المقهى ، يذهب وليد عادةً الى غرفته ، او الى المكتبة او الى مدرج كليـة الحقوق حيث يحضر الدكتوراه . اما اذا طرأ له حادث ، فانه يعدل منهاجه المألوف . ويوم موعده مـع زوجيه ، مدّد من مكوثه في المقهى ، حتى الساعة الرابعة . ثم استفاد من جمال الطقس ، في مستهل الربيع ، وتوجه ماشياً نحو قهوة السلام .

مر ببائعي الكتب على ضفاف نهر السين ، ثم عبر احد الجسور المؤدية الى الجهة الأخرى من النهر . ولمـا اقترب من منطقة الاوبرا ، بدأت المناظر بالتبدل ، فانتقل محور اهتمامه من المناظر الطبيعيـة ، من ماء يجري وأغصان تميس الى واجهات المخازن المملوءة بالبضائع على احسن نظـام وابدع ذوق ، ثم الى

النساء الجميلات الانيقات ، ممتعاً نفسه بمشيتهن النافرة ونظراتهن العابرة . ولولا ظهورهن عليه كل يوم ، وهو في طريقـــه الى القنصلية وجوها الغليظ ومؤامراتها البشعة ، لماتت نفسه أسى وانقباضاً .

* * *

في زاوية خافتة النور ، منعزلة بعض الشيء ، انضم وليد الى روجيه ، الذي كان قد سبقه الى المجيء . واتيح لهما ، بعد تبادل عبارات الحفاوة ، تأمل زخارف الصالة ومقاعدها المريحة، المنشاة بالمخمل الخمري الغامق . وكان انزواؤهما ضرورياً ، للتباحث في شيء من الحرية ، اذ ان ارتفاع اسعار المقهى وموقعه المركزي عينا الى حد ما انواع رواده ، من بين المتطفلين المتطلمين . فانك اتجد بينهم ، اكثر ما تجد ، المسنين الأغنياء .. . عشاق التأمل الأفلاطوني ، وبعض السياح الموسرين الذين يحققون حلمهم في دخول الأوساط الباريسية الراقيـة ، في طرفـة عين ، وبعض الجميلات الفاشلات اللواتي يتحررن موقتاً من وضعهن المكسوف، باستهلاك قدح شاي وفطيرتين ، او بشرب عصير الاناناس في جو يعبق بالمظاهر البورجوازية .

وكثيراً ما يخلق الوضعان المتكاملان وضعـــاً جديداً ، فيتخلى احد المتأملين المسنين عن افلاطونيته ، ويعقـد صفقة

مدروسة في دقة ودراية ، لكن ... مموهة بغلالة من العواطف والوعود ، مع جميلة عاثرة، تنشد الخلاص ولو في فردوس مزايف.

* * *

بعد تبادل بعض الكلمات العادية ، انقضت لحظة صمت وكم كان روجيه سعيداً ، حين سمع الشاب يقول :

ـ اتريد معرفة سر القنصل المعاون ؟! الا فاعلم انه غريق حتى اذنيه في حب فتاة تدعى « فرانسواز » . وهي شقراء ، ممتلئة الجسم قليلاً ، متوسطة الطول ، مثيرة للحواس . ولئن كانت زينتها توحي بشيء من الخفة، وخاصة طريقة عنايتها بأهدابها، وجعلها مبوّزة كأنها اشواك تغز في قلوب الرجال ، والكحل الاسود الممدد على اساس من الدهن اللماع حول عينيها الخضراوين ، ومشيتها الراقصة المستفزة ، فانها بالرغم من ذلك كله ، فتاة بسيطة ، تبنت زينتها بالتقليد ، دون فهم ناحية المغزى ودون علم بحدود الذوق المقبول .

تركت اهلها في الريف ، منذ سنتين تقريباً . وبعد ان اعتمدت على مساعدتهم ، حتى انتهاء دراسة الاختزال ومبادىء المحاسبة والضرب على الآلة الكاتبة ، اخذت تعتمد على نفسها في معاشها . وهي الآن تؤمن حياتها ، ولكن بصعوبة ، لأنها تعمل

بصورة متقطعة ريثما تجد عملا دائماً .

فسأله روجيه بقوله :

ــ ما دام رامي متيماً بحبها ... فلم لا يتزوج منها ، فيرى في عشرتها سعادته ، كما تجد هي في العيش معه الأمن والاستقرار ؟

فرد عليه قائلاً :

ــ انه محرم على افراد السلك الخارجي الزواج من اجنبية. والامم ، او بالأصح الحكومات ، لم تصل بعد مرحلة النضج والانفتاح نحو آفاق اوسع . . لتجعل من الحب ، هذه الشعلة الانسانية المشتركة الخالدة ، عامل الفة وتقارب . على كل حال .. ليس حب رامي من النوع العالي،الذي يدفع بصاحبه الى تكييف حياته الاقتصادية ، بالنسبة الى حياته العاطفية ، بل حبه شهوة ملحة ، وجذوة مركزة ، وخليط من الأنانية والكبرياء .

وسُمع حينئذ روجيه يقول متمتماً :

ــ مسكينة اذن فرانسواز .. ما بالها تقتل وقتها سدى ؟! اتنتظر ساعة ضعف ، لتقدم نفسها لهذا العاشق المزيف ، الذي لن يلبث ان يطرحها الى أخرى !؟ أتريد هذه البريئة ان تسير مغمضة العينين ، مدفوعة بسلامة طويتها ونصاعة نفسها ، الى

حيث يكمن المكر والتلاعب ... لترتد بعد ذلك ، محطمة الأحلام مهدمة الآمال ؟!

الا ان وليد سرعان ما طمأنه بقوله :

— من حسن الحظ انها من النوع البريء الواعي الحذر . يبدو ان في رأسها فكرة موجهة تسيرها ؛ ولقد حفظتها هذه الفكرة من المزالق . خيل اليها في البداية انها ستحقق في رامي حاجتها النسوية الى الأمن والحماية فرافقته في تحفظ ويقظة ، مدفوعة بوحي من عقلها لا بنزوة من عاطفتها . ولا بد انك رأيت بعينيك ، ان القنصل المعاون ليس من النوع الذي يضرم نار الغرام ، حتى في قلب فتاة محدودة المدارك .

وسكت وليد لحظة ثم استطرد :

— الا ان فرانسواز بدأت تشك تدريجاً في نواياه فعملت على الابتعاد عنه بمقدار شكها فيه . وهي الآن تتجنبه ، غير آبهة باحزانه والحاحه واستعطافه . وليته اتعظ فابتعد عنها ، او عدل من طريقته . انه لا يزال يعتقـــد ان ما من انثى من الوجود تستطيع المقاومة امامه . ولئن اعترف بالأمر الواقع او لم يعترف به فان هذه الفتاة المتوسطة البسيطة لم تهضم تبجحاته الثقيلة ، ولم تسحر باسرافه ومظاهر غناه .

كان وايد وروجيه طيبي السريرة . وهـذا ما دفعها الى الكلام عن فرانسواز ، في لهجة الحنان والاسى . اما الاول فقد افضى بسر رامي المسعودي غـير آسف ، لأنه كان يشعر نحو الاخير بالازدراء . اذ كان يؤمن في قرارة نفسه ، ان القنصل المعاون وامثاله يميـلون الى استعمال البشر كمطيـة لأهوائهم ، ويسخرون المفاهيم والقيم لخدمة مصالحهم . فـلا بأس اذن من استخدمه مرة كوسيلة ، بشرط ان لا تتضرر فرانسواز الفتاة الطيبة . واما روجيه فكاد يجعل من الجلسة اجتماعا للتحسر على فرانسواز ، مدفوعاً الى ذلك بطبيعته الودودة وطبعه الأبوي . واذ تذكر الغاية التي قدم من أجلها قال :

— قبل كل شيء، اريد ان اطمئنك واعلمك بانني لن اغرر ابداً بفرانسواز . ليس لي بنت لأعرف مقدار حب الأب لأبنته الا ان الحب الأبوي طاقة كامنة في النفوس .. وهي دائماً وابداً تنشد الانعتاق . ان كلامك غرس في نفس الأمل بامكان التأثير على رامي ، وذلك بالتلاعب على ناحية الضعف فيه ، دون الضرر بأي شخص .

وسكت روجيه لحظة ثم سأل :

— هل تعرف عنوان فرنسواز ؟

فوجم وايد بضع ثوان ، ثم أجاب :

ــ اذكر أنني سمعت من رامي أنها تسكن قرب ساحة « الاوديون » الا انني لا أعرف عنوانها بالضبط .

وتوقف عن الكلام ثانية ، وبدا عليه التردد . الا انه سرعان ما حزم أمره فقال :

ــ سأعمد الى استدراج رامي يوم غد . وسآتيك بعنوانها دون شك . على كل حال ، الجو لطيف هنا ، ولم يتح لنا اليوم التمتع به كما يجب . فما قولك في الاجتماع ثانية في نفس المكان ، بعد غد مساء .

فرد عليه روجيه وهو يبتسم :

ــ لا شيء احب الى نفسي اكثر من ذلك .

الفصل السادس

# لقاء في عالم الفكر

استطاع وليد استدراج رامي المسعودي ، والحصول منه على عنوان فرانسواز . وساعة موعده مع روجيه ، انطلق نحو مقهى السلام للمرة الثانية ، وهو منشرح النفس ، لأنه نجح في تحقيق وعده .

وكم كان فرح روجيه عظيما ، لما تقدم عليه وليد معلناً انتصاره السريع . الا انه لم يكد يسجل العنوان في مذكرته ، حتى التفت الى صديقه وقال :

— صحيح انني اعرف سر القنصل المعاون ، وعنوان فرانسواز . لكنني لا ارى كيف سيتاح لي الالتقاء بها ، واقناعها بالتأثير على رامي .

فأجابه وليد :

ــ اترك الأمر لما بعد . ليس من شك في انك ستجد مخرجاً من هذه المشكلة البسيطة .

وسكت الاثنان عدة دقائق . ثم خطر لروجيه ان يعرف شيئاً عن اراء وليد في فرنسا وشعبها وسياستها . فاستفاض وليد في التحدث عن النواحي الفكرية ، والادبية ، والاقتصادية ، والسياسية . ولفت نظر روجيه بصورة خاصة قول وليد ــ« لم تنجب فرنسا قط عبقرياً له رسالة عقائدية موجهة على الصعيد العالمي ؛ الا انها من اكثر البلاد حظاً في الرجال الموهوبين . كما ان الفرد المتوسط فيها يعتبر بحق اكثر ثقافة من امثاله في البلاد الأخرى ، وفكره الناقد ظاهر النماء ، ولا يسبقه في روح النكتة الناقدة احد .

اما من الناحية السياسية فهي تمر بمرحلة انتقالية صعبة جداً ، ولا يمكن الى الان التكهن كيف سيكون الخلاص في القريب العاجل . فلا هي حبلى بثورة محررة مطهرة ، ولا هي سائرة في طريق الحل السلمي الحاسم . لان القوى المتشابكة فيها متعددة ، والروح الفردية فيها طاغية .

اما في اقتصادها ، فهي شبه رأسمالية ، شبه اشتراكية وان كانت الى الاولى اقرب . وقواها اليمينية تعادل اليسارية ، وكلا القوتين مبتليتين بالعناصر المتقلبة المذبذبة ، ومؤيدتين بروح

. طبقية راسخة موطدة .

وعلى هذين الأساسين الاقتصادي والبشري .. أجل على هذين الاساسين المزدوجين المتأرجحين ،تقوم حكومة ، متقلبة ظاهراً ثابتة فعلا ،ودائماً عينية في روحها ، الاانها تتغنى بالحضارة والسلام والانسانية ، ولا تتورع ، في نفس الوقت ، عن القيام بأبشع الحروب الاستعمارية واقذر المؤامرات العدوانية .

لذلك ، تبقى الحياة العامة فيها مشلولة ، فــلا القطاع الاشتراكي يزدهر دون موانــع،لان الراعي من اعدائه . ولا القطاع الرأسمالي يتطور بصورة منطلقة ، لأن اصحاب رؤوس الاموال ، يحسبون للمستقبل الف حساب .

وفي مثل هــذا الواقع العجيب ، ينقسم اغلب كتابهـا قسمين : فئة تصعد الى الافلاك ، مؤلهة نفسها ، وفئة تهبط الى الى الحضيض ، مدنسة نفسها ، فــلا يصدر عن الطرفين الا الاصداء الخاوية .

ويتصاعد البخور حامــلا عبق الحديث عن المساواة والحرية والديموقراطية ، فيقول بعض الغلاة : فرنسا من اسعد البلاد . ويقول آخرون منهم : هي من اتعس ما في الأرض .

فاذا كان لا بد من التكهن ، في مثل هذه الأوضاع ،

فاغلب الظن ان مصيرها الداخلي سيتقرر مع مصير العالم ، الا اذا ظهر فيها رسول فكري يقطب القوى في اتجاه التطور ، او تعرضت لخطر خارجي فتصبح حينئذ الجبهة الموحدة الشعبية شكلا وحيداً لخلاصها » .

* * *

ثم عادا الى سكوتهما . وطال بهما الصمت فاخذا يقلبان الانظار في زبائن المقهى . وهذه هي التسلية الاولى في المقاهي ، ولا يعرف ذلك مثل الرواد الدائمين . وبينما هما في ذلك دخلت امرأة في الثلاثين ، ممشوقة القد ، ناصعة اللون ، دقيقة الانف ، ذات عينين عسليتين تشع منهما نظرات طافحة بالانوثة المكتملة الملحة . اتجهت دون تردد نحو طاولة صغيرة جانبية ، بين انظار الرجال المأخوذين بجمالها السريري ، والنساء المعجبات بلباسها الأنيق ، وتسريحة شعرها الكستنائي ، المتموج على طريقة قدماء الرومان .

وشعرت بعض الجالسات بالضيق وبدأن يضغطن على انفسهن ، لكن غيرتهن من احتكارها نظرات الاعجاب . كن من هذا النوع الطموح من النساء ، الذي يعتبر نفسه في منافسة دائمة على احتكار الاعجاب . ولا يتحمل زيغان النظر وانتقال محور الاهتمام الى اخرى .

وكان يُرى شاب اشقر على الطاولة المجاورة الى اليسار يحكم ربطة عنقه ، بينما كان كهل في الستين يعدل من جلسته ويزحزح كرسيه الواقع الى اليمين ، متقربا في اتجاه الحسناء بصورة متخفية ، مستفيداً من غفلة الناس والتهائهم عنه .

ولما عادت الحال الى شيء من التوازن والاستقرار ، بعد الفورة العارضة ، بدأ الشاب بمغازلة جارته الجميلة ، بعد ان اطمئن داخلياً الى ان منافسه في الطرف الثاني قليل الخطر . توجه بكلامه الى جارته وفي نفسه هيبة ، دفعته الا يلتفت الا جزئياً من طرفها ، وهمس مغازلاً :

— « ذوقك الحسن تجلى في تصفيفة شعرك ، الذي يكتفي بضربة مشط ليزين رأسك باجمل تاج في الوجود .

لم يشعر امام سكوتها الا بانكساف خفيف . وقال في نفسه انه تحفظ الانوثة . ولم يلبث ان عاود الكرة متمتما :

— « اني لالمح خصله صغيرة،على الطرف الايمن من جبينك تبدو حائرة امام وجهك ، وتتمنى لو كانت اطول بقليل لتدغدغ خدك الناعم » .

الا ان جارته لم تتأثر بغزله الناعم ، وما كان ليعلم انها ليست من النوع الذي يدب فيه الروح . على تغريد العصافير

وحفيف الاوراق . وبعد كرة ثالثـــة يئس منها وكف عن المحاولة .

اما وليد وروجيه فاتيح لهما ، وهما يتحادثان في الاشياء العرضية ويشربان الشاي ، ان يتابعا تطور المشهد الطريف . وان هي الا لحظة حتى رأيا العجوز ، يبادئها بالحديث في هيئـة ابوية وصورة لامبالية . و كان قد استفاد من التهاء الجميع في البداية ، وانزلق عن كرسيه الى المقعـد المجاور . وسرعان ما افتر ثغرها عن ابتسامة رضى وتشجيع . ولم تمض دقائق حتى كان قد احتل الكرسي الوحيد الباقي بينها وبينه .

هم وليد بالكلام الا انه سمع روجيه يقول له :

ـــ « من عجيب الصدف انني اعرف هذه المرأة . ان لهـا قصة محزنة ، ومسلكاً فرضته الصدمات المتتاليـة . فقد توله في حبها مؤلف موسيقي موهوب ، لكنـه كان محدود الامكانيات المادية لما كان في صحبتها . وكان هو يفكر في الزواج منها ، اما هي فكانت تماطله ، وكانت تؤثر في قرارة نفسها لو انه كان أقل موهبة واكثر مالاً . وابتعدت عنه ذات يوم مسافرة لقضاء عطلة الصيف ، في جزر الباليار ، حيث تعرفت على محام عليه مظاهر الغنى . وتحت تأثير اشعة الشمس المخدرة وسحر الامواج المداعبة وانطلاق المخيلة الشعرية في جو الاسفار ووعد بالزواج ، استسلمت

له . وبعد يومين اختفى عن عينيها تماماً . ثم عادت الى باريس ، وقد عقدت النية على الزواج من الملحن ، الا انها فوجئت بموقفه الحازم ، وانصرافه النهائي عنها ، رغم حبه الشديد لها . وذلك لأنها اصبحت ، بحسب معتقده ، فتاة ذات ماض . فصدمت بعض الشيء ، الا انها سرعان ما لقيت رجلا آخر يشتغل في تجارة الخمور ، رضي بالزواج منها . واستطاعت ان تكفي ميلها الى الزينة واللباس ردحا من الزمان . ولما احست بالاشباع ، انبثقت من اعماقها فكرة اكثر تعبيراً عن جوهرها ، وعاودها حنين عظيم الى الملحن . وتفاقم هذا الشعور ، حتى اصبح هوى جارفاً دفعها الى الاتصال به ، والتصريح له بأنها على استعداد لترك حياة الترف ، لتعيش معه راضية بالضيق والشدة . الا ان حبها المتفتح المستعد للتضحية هذه المرة ، لم يقنع الملحن بالعدول عن قراره الاول . لقد بدت له انها من النوع الذي يتكيف بحسب ، الاحوال ، على حين كان هو من الذين يتصرفون بحسب فكرة موجهة ، ويأتمرون بامرها مهما تكن الاحوال .

ثم انقلبت الأيام .. فأفلس زوجها في تجارته فانتحر، بينما صعد نجم المؤلف في عالم التلحين وانصبت عليه الأرباح . فطار عنها صوابها . ومنذ ذلك الوقت ، اصبحت غريبة التصرف ، شاذة المسلك .

اذ رسخت في نفسها فكرة سوداء، قوامها انها لن ترى ابداً الحبيب المثالي ، فاخذت تتهافت على الشيوخ الاغنياء ، لتمتع نفسها باللباس والسهرات ، موصدة القلب ، جامدة العواطف .

وتوقف روجيه دقيقة اشعل خلالها لفافـة ثم عاد الى الكلام وهو ينفث الدخان بصورة حالمة . قال :

ــ انني لاتساءل يا عزيزي وليد ، فيما اذا كانت هذه المرأة في البداية وفي البداية فقط ، مخطئة مائة في المائة ويخيـل الي احياناً ان الرجل الذي يصفح في حالة التغرير الواضح وامثالها مصيب ... كما ان الرجل الذي لا يعفو ، مدفوعاً بحاجة ملحـة في اعماقه ، غير مخطيء ايضاً .

لقد اصطدم واقع هذه المرأة ، بفكرة رجل احلامها ، فاصبح مستحيلا عليها ان يتعايشا في سلام . وكانت صدمةبالنسبة اليها ، نجم عنها اضطراب حياتها كلها . اما هو فلعل ابدع الحانه وليدة الصراع الدائم في نفسه ، بين عواطفـه الملتهبة وفكرته الراسخة » .

★ ★ ★

كان روجيه يتحدث في لهفة ، كأنه يذود عن قضيـة تخصه . وهذه صفة الواعي الامـين . انه يبحث كل مشكلة

كأنها مشكلته الخاصة ليخلص منها الى الحل الامثل . ولم يلحظ روجيه كيف كان وليد يحدق فيه . كل نظرة من الاخير كانت كمحاولة لسبر اعماق هذا المهندس ، المتطفل على عالم التجارة . وبدأ يشعر في قرارة نفسه ان بينه وبين روجيه نقـــاط التقاء عديدة . لقد اوتي المقدرة على فهم الحوادث بصورة خاطفـة ، وعلى تلمس الروابط والصلات فيما بينها . وعلى هذا الاساس كانت افكاره واحكامه متكامشة متسلسلة . وقـد تبين له أن روجيه يرى تقريباً كل حادث على وجهه الصحيح بصورة انطباعيـــة متقطعة .

لم يكن الاثنان يقدران سلفاً ، وهما يشربان الشاي ، ان بين هاتين الطبيعتين ارومة تجانس ، ستدفعهـما ذات يوم ، الى الالتقاء على صعيد واحد ، وان هذا الالتقاء سيحدث انقلابا مهما في حياة روجيه .

الفصل السابع

# الحمل يقع في الشباك المنفرة

وقفت فرانسواز امام نافـذة غرفتها ، تستنشق هواء الصباح النقي . وكانت ، في كل شهقة ، تعب اكبر كمية ممكنة من الهواء ، كأنها تود احتكار النسمات المنعشة . ثم ارتدت بعد قليل الى سريرها ، وجلست على حافته واطرقت رأسها ساهمة . قالت في نفسها : «ستنتهي بعد يومين او ثلاثة ، النصوص التي عُهد الى بضربها على الآلة الكاتبة وبعدئذ ربما ابقى اسبوعا او اكثر دون عمل . ثم انني اعيش وحيدة في هذه الغرفة الصغيرة ، بعيدة عن أهلي وأقاربي . وليس لي خطيب لطيف اخرج معه . اللهم الا هذا الثقيل فرناندو ( أي القنصل المعاون ) ، واني لأفضل الف مرة شبح العزلة ، وضيق الانفراد ، على الخروج في صحبته يا لها من حياة قاسية ! يا لها من حياة فارغة ! » .

وكادت تنفر من عينها دمعة ، لولا انها شددت على نفسها.

ثم رفعت رأسها في بطء ، فألفت نفسها مـــع طيفها في المرآة . كان وجهها ممتلئاً بالصحة والشباب ، وبدا لها انه اكثر جمالاً برونقه الطبيعي ، وهو مكلل بخمائـــل شعرها الذهبي ، المتهدل على صدرها النافر الحي . وكأنما اعاد اليها خيالها الجميل المرتسم على صفحة المرآة الثقة في نفسها ، وجدد فيهـا الأمل بالنجاح . فاطلقت العنان لابتسامة خفيفة ، اشرقت على محياها ونشرت الحيوية في شفتيها الرقيقتين الارجوانيتين .

لم تكن لتدري ، ان هذه آخر صبحية قلقة في حياتهـا. وكم كانت دهشتها عظيمة ، وقت نزولهـا ، اذ نادتها البوابة ، وسلمتها رسالة باسمها ، عليها عنوان شركة منسوجات معروفـة . فسارعت الى فض الغلاف وقرأت :

آنستي !

لما كانت شركتنا بحاجة الى فتيات ماهرات ، يحسن الضرب على الآلة الكاتبة ، ولهن المام مناسب بمباديء الاختزال والحاسبة ، فاننا نرغب اليك في الحضور يوم الخميس، بين التاسعة والعاشرة ، لنطلعك على شروط العمل .

لقد حصلنا على اسمك من معهدك السابق . وبما ان ملاحظات المدير عنك كانت جيدة ، فاننا نأمل ان تكوني عند

حسن تقديره .

وتفضلي بقبول فائق الاحترام .

مدير القسم التجاري

روجيه

استلمت فرانسواز الاستدعاء يوم الثلاثاء ، واذ اشفقت على نفسها ان ترفض ، عمدت الى مذكراتها وراجعت النقاط الأساسية ، لتكون مستعدة لكل مفاجأة ، ولما حل يوم الخميس لبست احسن ما عندها من ثياب ، ودفعتها غريزتها الى التجمل دون مغالاة ، كي تعجب ولا تنفر . وحرصت على الذهاب وطلب المقابلة ، في تمام التاسعة ، خوفاً ان تسبقها الى الموعد مرشحة أخرى . وحين الفت نفسها وحيدة امام غرفة روجيه ، عاد اليها اطمئنانها .

ضربت على الباب مرتين بلطف وانتظرت مصغية . وما هي الا لحظة ، حتى سمعت صوتاً يأذن لها بالدخول . ففتحت الباب حذرة ، وتقدمت بادية الانفعال ، الا انها استعادت هدوءها ، لما رأت وجه روجيه الهادىء وعينيه المسليتين الوديعتين ، وهو يبتسم لها ، ويمد يده مصافحا . وسمعته ينطق مستفسراً .

— يومك سعيد يا آنسة . ما اسمك من فضلك ؟

— فرنسواز ريه‌مي .

ثم شرحت له سبب مجيئها ، وعن استعدادها للعمــل .
فأجابها روجيه :

— حسناً . لا نرى مانعاً من قبولك . ستتمرفين تدريجياً على أصول العمل . انما يؤسفنا الا نستطيع تثبيتك منــذ أول يوم . يتحتم عليك قضاء مدة شهر على الأقل كمتدربة ، ثم سيجري تثبيتك ، اذا تأكد لنا صلاحك للعمل ، وحينئــذ سندفع لك اربعين ألف فرنكاً كل شهر ، مع امكان رفع الأجرة ؛ اما عن الشهر الاول فسندفع لك ثلاثين الف فقط .

وسكتت لحظة كأنما ليفسح لها المجال للتفكير ، ثم سألها:

— هل توافقين على هذه الشروط ؟

فلما اجابته بالموافقة ، طلب اليها الذهاب الى الغرفـــة المجاورة ، لتتعرف على طبيعة عملها .

الفصل الثامن

# الاشعاع

اتجه وليد نحو بائعة الأزهار ، وطلب اليها تصفيف باقة صغيرة باعتناء . وكان قد تلقى، وهو في مقرعمله ، مخابرةهاتفية، دعاه روجيه اثناءها الى الحضور في الساعة الثامنة لتناول طعام العشاء . ولم يستطيع وليد الا الاستجابة امام الحاح صديقه .

وقبل الثامنـة بعشر دقائق ، وصل الى حي « دنفر » ، حيث يقطن روجيه في شارع « آراغو » ، احد الشوارع الستة المريضة المتفرعة عن ساحة « دنفر » . وبعـــد ان القى نظرة خاطفة الى تمثال الاسد الضخم الجاثم في منتصف الساحـة ، انـطف يساراً نحو شارع « اراغو» ، وسار ضمن النفق الطبيعي الذي تشكله الاغصان المتشابكة لصفين من الأشجار الباسقة على كل من رصيفي هذا الشارع .

وفي تمام الثامنة ، دق الجرس ففتحت له ربة المنزل الباب فالقى نفسه امام امرأة جاوزت الثلاثين بسنتين او ثلاث ، ذات ابتسامة مؤنسة ، تشرق على وجه اسمر وديع ،وشعر سبط فاحم.

وبدت لعينيه ، وهي تستقبله بعبارات الترحيب، متوسطة الطول ، ناحلة الجسم . وبينما هو حائر بين اغلاق الباق والرد على استقبالها اللطيف ، ظهر روجيه بقامته المديدة وهندامه الحسن ووجهه البشوش ، وحياه بصوت عال. وفي هذه الاثناء ،تناولت الزوجة من يده باقة الزهر ، لتضعها على طاولة صغيرة موضوعة بمحاذاة الحائط . ولما رجعت قال روجيه :

ــ اقدم لك زوجتي « مادلين » .

فحياها وليد مرة أخرى ، وانحنى قليلاً وهو يمد يده لمصافحتها . ثم اتجه الثلاثة الى غرفة متوسطة الاتساع ، واقعة الى يسار البهو . ولاحظ وليد ان هذه الغرفة تختلف في اثاثها عن بعض البيوت الفرنسية القديمة، حيث يتعثر الزائر بين الاغراض المحشورة حشراً في كل زاوية ، فيحسب نفسه في متحف قديم متخوم . اما هذه الغرفة فقد تحررت من مغالاة التأثيث الحديث في الخفة والغرابة ، واستعارت منه رشاقة الخطوط والاحجام وتناسق الالوان . وظهر ذوق ربة البيت في الانسجام اللطيف والترتيب المدروس ، اللذين حررا الغرفة من ثقل القديم وخفة

الحديث . كما ساهمت الانارة اللامباشرة المنتشرة في انتظام ، في خلق جو خاص من السكينة . ولئن كانت تعبر عن ذوق تام ، فانها ايضا وليدة اوضــاع اقتصادية متطورة . واحس وليد بالفارق مع بـلاده حيث يعمي العيون نور المصباح ، الصادر من نقطة مركزة ، وذلك حتى في البيوت المتوسطة واكـــثر من المتوسطة .

ما كاد وليد يتغلب على ارتباكه ، حتى سمع نداء طفل ، فابتسمت المضيفة وقالت « انه الصغير » ثم انسحبت معتذرة . وان هي الا لحظة حتى عادت مع صبيين الكبير منهما في التاسعة والصغير في السادسة ، وهنا ابتسم روجيه وتوجه بـــكلامه الى وليد قائلاً له :

ــ كما ترى ياصديقي العزيز ؟ ان لي ولدين ، وهما عاقلان جدا والآن سيطيعان امها وسيذهبان للنوم .

ثم طلب اليهما ان يحييا الزائر وان يودعاه قبـل الذهاب الى السرير . ولما اتجها نحو وليد قالت لهما الأم مداعبة :

ــ السيد قادم من بلاد علي بابا :

ثم وجهت كلامها الى وليد كأنما لتفسر :

ــ انني احكي لهما احياناً من قصص الف ليله وليلة :

وما انتهت من كلامها حتى سمع اصغرهما يسأل الزائر :

ـــ هل صحيح انك قادم من بلاد علي بابا ؟

ـــ نعم يا صغيري .

ـــ وهل صحيح ان هناك سجادات طائرة ؟

ـــ طبعاً طبعاً .

ـــ وهل يمكنني ان اركب احداها ؟

ـــ فيما بعد .

ـــ اليس ذلك ممكناً الآن ؟!

احتار وليد لحظة ، الا انه وجد جواباً موافقاً فقال:

ـــ ان عددها محدود جـــــداً . ونستعمل الان لترحيل الخبيثين والشريرين وقذفهم بعيداً بعيداً، ليستريح الناس الطيبون من اذاهم . وفيا بعد سننظفها وسنسمح لاخيك ولك بالسفر على احدهـــا .

وآمن الصغير . وصدق الاكبر مـع شيء من الشك ، ثم صافحا الزائر وذهبا الى النوم .

* * *

كان الحديث بين الثلاثة ، وهم جلوس الى طاولة الطعام متقطعاً في البداية ، ولم يتناول الا الاشياء العادية البسيطة .فكان

الطبيعي ان تسأل ربة البيت ضيفها ، عن الطقس في بلاده اشمونيا. فرد وليد بعد ان شعر بشيء من الارتياح دفعه الى التحرر من انكماشه :

ــ ان ما يميز الطقس في بلادنا ، هو انتظام فصول السنة . فالشتاء فصل البرد والامطار والشمس اللطيفة . تغيم فيه السماء عدة ايام وتصحو عدة ايام . والصيف فصل الحر الشديد ، ولكنه ايضاً فصل الليالي الجميلة ، بسمائها الزرقاء ونجومها المتلألئة وشهبها المتساقطة .وبين هذين الفصلين ، يحقق كل من الربيع والخريف الانتقال التدريجي .

اما التقلبات السريعة ، التي تحدث مرات ومرات في باريس ، فلا وجود لها في بلادنا ، اللهم الا خلال ايام معدودة في بداية الخريف .

واستطرد مازحاً :

ــ الا ان انتظام الفصول لم يغرس في نفوس الناس الشعور بدقة الوقت ، فكأن امتداد الفصول غلب نظامها وغرس في النفوس الحس باللامبالاة وامكان الانتظار ؛ على حين غلب في بلادكم تقلب الطقس السريع ونبه الشعور بقيمة الوقت وضرورة تقديره بدقة .

ثم استدرك قائلا :

ــ هذا تفسير للفوارق التقديرية ، فيه شيء من الخيال والشعرية . لأن فكرة النظام طوع ارادة البشر . . وان كانت الطبيعة الانسانية نزاعة الى حلم لا متناه ، وهي تتأمل سماءصافية كسماء اشمونيا ، تتألق فيها ملايين وملايين النجوم .

وهكذا قضى الثلاثة سهرة ممتعة تناولوا خلالها مواضيع مختلفة . وكان وليد طيلة الوقت حريصاً على الا يعقد الجو ، ويطرد الانس والبهجة ، بالجدل العميق او الاستئثار بالحديث ، او التشدق بالمعرفة الشاملة . وراعى الى ابعد حد مقتضى الحال. فكان مع الاطفال بسيطا مداعبا ، ومع الزوجة منوع الحديث ، سلس العرض ، مؤدب اللفظ ، حاضر النكتة . ولم ينس خلال ذلك كله ان يؤكد لروجيه رغبته في اجتذاب رامي وتهيئة الاسباب لجمع القنصل المعاون بفرانسواز .

ولم تغب هذه الخطة الواعية ، عن نظر روجيه الثاقب العميق .

* * *

احدثت كلمات وليد المنتصر ،خلال سهرة العشاء ،تأثيراً عجيباً في نفس مضيفته . كانت ربة المنزل تستمع اليه مشدوهة

مبهورة . ولئن كان من عادتها تأييـد زوجها بالتقبل العطفي ، مثل الكثير من النساء، فانها احست ، وهي تصغي للزائر الشاب بتنبه الناحية المنطقية في نفسها .

ولما انصرف بدأ القلق يدب اليها ، وانتقل محور اهتمامها الى زوجها . كانت تخشى ان تعود اليه ازمته النفسية ، متعاظمة بفعل كلمات وليد . ومن مثلها يلم بطبيعة رجلها ، ويدرك خصائص شخصيته، ويعمل على تدارك المصاعب قبل حلولها ، وعلى تبديدها بالرعاية والمشاركه بعد وقوعها ؟ .

كانت تؤمن بأن الحياة الزوجية والأمومة همـا هدف المرأة الأمثل . ومن خلال هذا الهدف كانت تتمثل آراء واحلام وتصرفات المرأة ، اذا كانت سليمة الشخصية، متوازنة التفكير. الا ان مخاوفها اخذت تتبدد تدريجياً امام هدوء زوجيه .

والحقيقة ان الاخير ، عوضاً ان يتخبط من جديد ، في صراع بين ميوله العميقة ووجائب عمله ،انغمس في نشوة فكرية لذيذة . ويا لها من نشوة ، تلك التي يحس بهـا الانسان ، حين يحقق خطوة الى امام في تفكيره ! انه لم ير في مواقف وليـد ، الا تأكيداً لتقديره الانطباعي الخاص ، يوم التقيا اول مرة .

ومرت بمخيلته صورة التاجرين العميلين ، مقرونة بصورة وليد . وتبدى له الواقع البشري مزدوجاً متناقضاً . وتمثـل

العميلين كنموذج مصغر ، لوجه مكفهر مظلم ، يطمس الوقائع تارة ، ويضخمها او يمسخها تارة اخرى ؛ يتآمر ضد الشرفاء ، مسيراً برغبته الهوجاء في البقاء ، ويذل المستضعفين ، مدفوعاً بالانانية الصرفة ، والاستئثار المر ... على حين تمثل في وليد النموذج المصغر ، للوجه المشرق النبيل ، الذي يعمل على كشف الحقائق ، ولا يتردد عن تأييد ما هو صالح ورفض ما هو باطل ويعمل بيده وبفكره ، مدفوعاً بحاجة داخلية الى انماء النفس وبالحب الانساني العميق والاخوة الصادقة الشاملة .

وسرعان ما تذكر معتقدات الاقدمين ، وايمانهم بوجود روحي الشر والخير .

واحدمت في ذهنه الافكار . ثم اشرقت في نفسه انوار ضمنية عجيبة فاستشف من خلال تجربته الاخيرة ان سلامة شعب ما وارتفاع شأنه . وازدهار حضارته ، رهن بتفوق احد هذين العنصر . وان لهما بطبيعتها ان يتناحرا ، فاذا انتصر عنصر الخير سارت الجماعة على ضوء حقيقة عليا ؛ اما اذا هيمن عنصر الشر ولم يسمح للجوهر السليم بالتعبير عن ذاته ، وبث في طريقه شتى العقبات ، متسلحاً بالقانون تارة ، وبالقوة تارة أخرى ، بقيت الجماعة متخبطة في محاولاتها ، عفوية في انتقاضاتها .

وهكذا ، في ومضة عبقرية بارقة ، استشف روحيه

قانون الحياة الاجتماعية الاساسي ، وناموسها الاسمى ، وآلية التطور عبر التاريخ .

وادرك بصورة مبهمة قليلاً ، ان الانسانية تسير ، من خلال اوضاعها التاريخية ، بفعل التلاقح ، حيث تتغلغل فكرة النخبة الواعية الامينة ، المتلقفة عن كبار عباقرة الفكر المبدعين، في ذهن الجماهير الواسعة ، فتنجم عن ذلك طاقة بشرية هائلة مشبعة بروح جديدة، تسمو بالانسانية الى مرتبة مفاهيمية وتنظيمية من شكل اعلى ، بعد ان تكنس كل العوائق المادية والفكرية التي تضعها الاقلية الدنيئة المغرضة، بحكم وضعها الطبقي في شروط الحياة الاقتصادية .

والعجيب ان الحياة تغرس دائماً في هذا الجوهر الصافي، الذي يحقق اللقاح المحرر ، شعوراً بالمسؤولية يدفعه الى التضحية ويحرم عليه النوم ، وفي الجماعة شوقا ، يدفعها الى تلمس النور ودعم الحقيقة، في اخلاص وتضحية ، اذاما اختمرت في النفوس.

والفرد ، اذ تشرق في حنايا صدره انوار حقيقة محررة من شكل اعلى ، يهب لنصرتها مهما يكن مصدرها . فكأن هذه الاندفاعة العجيبة صدى للرابطة الانسانية العميقة ، التي تصل بين الافراد هازئة بالحواجز والحدود .

* * *

## الفصل التاسع

# السهرة الثانية ...

بعد الانصراف من السهرة ، شعر وليد بسكون عجيب يخيم حوله ، وهو يسير في شارع ( آراغو ) ، متجهاً نحو ساحة ( دنفر ) . ومما عزز من هـذا السكون ، اكفهرار جدران السجن الكبير، القائم على اليسار ، في الطرف الثاني من الشارع. وخيل اليه وهو يسير بين صفي الاشجار متعانقـة الاغصان انه يمشي داخل نفق . ومر بعاشقين ...

ومر بعاشقين كانا جالسين على أحـد المقاعد المنعزلة ، يتجاذبان الكلمات الناعمة والقبل اللطيفة ، على حفيف الاوراق المتماوجة . وأحس بالحياة تدب في عروقه حلوة جميلة ، فخفف من سيره ، وأخذ يستنشق بعمق هواء منتصف الليل المنعش ، وهو يقترب من فوهة النفق المطلة على ساحة ( دنفر ) . ولما بلغ هذه انبسطت امام عينيه آفاق اوسع . ولمح أسد ( دنفر ) يغط

في نومه الابدي . ورفع عينيه الى السماء قبل ان يبارح الرصيف، فظهرت لعينيه نجمتان تلمعان ببريق شاحب ، كأنهما سفينتان بعيدتان تائهتان في محيط مظلم هادىء الموج . وآثر العودة سيراً مستفيداً من هذه الليلة الربيعية . فقطع أول شارع على يمينه ، حتى وصل الى شارع ( راسباي ) فسلكه بخطى اسرع .

بعد مسير مائة متر ، بدت لعينيه فتـــاة تمضي في نفس الاتجاه . وكأنما غرس النفق في نفسه الشعور بالوحدة ، فرغب في مرافقة هذه الفتاة ليزيح عن نفسه هـذا الشعور . فكر في حيلة ممهدة للحديث ، فعنت له فكرة شيطانية ممكنة النجـاح . حث حينئذ خطاه ، حتى صار تقريباً بمحاذاة الفتاة ، فبدأ يسير متصنعاً العرج مصدراً أناتاً خفيفة متقطعة . ثم بدأ يخاطبها ، دون ان يلتفت من طرفها ، وهو يعلق على حالته :

ـــ آه . كم هي غريبة هذه الحياة ! يخرج الانسان من بيته صحيحاً سليما ، لا يعلم ما في انتظاره. وفجأة تصدمه سيارة ، او تذل قدمه ، فيصبح وقد تغيرت به الحال ممددا على سرير ، وهو يئن من كسر في رجله ، او رضة قويه في كتفه ) .

ولما بدت على الفتاة علائم الفضول التفت اليهـا متابعاً كلامه :

ـــ من حسن الحظ اني نجوت من الاسوء . فقد لطمتني

دراجة مسرعة ، لما كنت اهم بعبور الساحة منذ دقيقة .

— هل تشعر بألم شديد .

— أشعر بشيء من الألم ، لكنه محتمل على كل حال .

ثم ساقها الحديث عن الصدمة ، الى مواضيع أخرى . فأخبرته بانها اجنبية تقيم في باريس منذ عام تقريباً . وتابعت الكلام كأنها لم تلحظ عودة وليد الى الاستقامة في سيره ، او انها لاحظت ذلك ولم تأبه له . وبدا لوليد انها اشبه منخطفة تتحدث اليه ، والى نفسها معاً . ثم اخذت تقص عليه بعض الزوايا من حياتها ، وما لبثت ان انتقلت الى سرد فلسفتها الخاصة . فأدرك من اقوالها انها من زمرة الحائرات ، اللواتي يقدمن الى باريس لطيفات بريئات ، ثم لا يلبثن ان ينغمسن في خضم المشاكل ، ويقبلن على الحياة بزيغ ، من بعض زواياها ، ليخرجن منها بعد حين بجعبة من المفاهيم السوداء ، المستخلصة من صدماتهن المتكررة . وقوام هذه المفاهيم السخط على الرجال . ولا شيء أبغض على هؤلاء مثل هذا النوع من النساء ، ولكنهم يتحملون احياناً آراءهن المشوشة ، علماً منهم بان هذه الفئة الضائعة تبغض الرجال ، وتتهافت عليهم في نفس الوقت . والرجال ، حين لا يأخذون بعين الاعتبار الا اللهو والتسلية ، يصبحون شديدي التساهل . اما النساء المطاوعات فتأخذهن

نشوة السلطة والظفر . ولكن الى حين ...

اذ سرعان ما تتكشف لهن بالتجربة ، هــذه الحقيقة الانسانية العميقة : ان سلطان المرأة المطاوعة سطحي وعرضي، وانها رغم ظفرها باعجاب الكثيرين في لهوها المتقلب ، كثيراً ما تكون عاجزة عن الاستئثار بقلب رجل واحد فقط . انهـا قد تروض الالوف حين اللهو ، ولكنها قد تكون عاجزة حين يجد الجد ، عن اقناع رجل واحد فقط سليم الشخصية باصطفائها ، وهو خالص النفس من القهر والمضض . كل شيء يجري بالنسبة اليها كما يلي : اذا اخذت بعين الاعتبار عامل الزمن والامتداد ، فانها بالنسبة الى الحياة ليست مطلقة الحرية كما تتصور ، بل عليها ان تختار بين حلين لا يتعايشان معا دون تنافر وتهديد للسعادة :

اما ان تطبق حريتها في الامتداد ، فتخسر امكانياتهـا في العمق .

واما ان تؤثر العمق ، ودفء التفاهم ، وتحقيق الامومة وحينئذ يجب عليها تبني مفهوم حرية واقعي ملتزم .

لم يشاء وليد ان يعاكسها في فلسفتهـا .

ولمَ يفعل ذلك !؟ انه ليس بواعظ فردي. زد الى ذلك انهـا تحمل في طوايا نفسها تخبط القرنين الماضيين من الناحية

الاقتصادية والعقائدية ، فهل بوسعه تكنيس كل هذه الأوساخ في طرفة عين من ذهنها الفردي !؟

انها ربيبة البورجوازية المتغنية بالحرية ، ليتاح للرأسمالي المعجور التصرف ببنت العشرين ، والمتمسكة بالعفة ، ليتمكن هذا الدخيل من المحافظة على اسلابه ؛وربيبة الكنيسة ،التي تريد زرع الخير في النفوس ، دون العمل بصورة مجدية على اقتلاع الشر من جذوره ؛ وربيبة النظريات التقدمية الحائرة بين النقيضين : الحرية الكاملة ... والطهر الكنائسي .

وتابعت الفتاة شرحها ، ووليد يسمع في غير انتباه . ولما وصل الى فندقه الكائن في شارع ( داساس ) كانت لا تزال في صحبته ...



## الفصل العاشر

# مؤامرات بالجملة

كان (جاك) حاجب القنصلية ، منهمكاً في تقليب صفحات جواز سفر ، ليلصق عليه الطوابع الضرورية ، لما دخل رجل في الاربعين ، قصير القامة ، منتفخ البطن ، واتجه نحوه رأساً . وتكلم القادم، فتدحرجت من فمه الواسع بعض الكلمات الفرنسية في ركاكة ، بين تراقص شاربه الضخم تحت أنفه المقوس ، حين قال :

ـــ أين القنصل ؟ لي كلام معه .

ـــ من فضلك يا سيد ، انضم الى الذنب ، هناك شخصان قبلك كما ترى .

فرد القادم بحدة :

ـــ ماذا تقول ؟ أعد كلامك .

ـــ افول ضع نفسك في الذنب بعد هذين السيدين .

ـــ ماذا ! في الذنب ؟ أنا في الذنب ؟ اعرف جيداً الى من توجه كلامك .

انا صديق أكابر الشخصيات. والقنصل نفسه من معارفي.

وهنا تدخل أحد السيدين المنتظرين شارحاً له الأصول. فوافق على مضض ووقف في نهاية الذنب ، وهو يتمتم بلغتـــه الخاصة ، بينه وبين نفسه :

ـــ هذا الآذن غير مهذب رغم كونه « اوربلي » . والله لو حدث ما حدث في بلدي ، لقلبت الدنيا دفاعاً عن كرامتي . انه يظن انني شخص عادي ، مع انني من اكبر مصدري المصارين . انا ابن ناس ودائماً لا أقف الا في الرأس .

وما كاد الهدوء يسيطر على الجو ويسير الصف (الذنب) الى الانتهاء ، حتى انفتح الباب من جديد وبرز للعيان اربعة من الشبان ، عليهم هيئة الطلاب . وبعد ان تحدثوا قليلا فيما بينهم ، تقدم احدهم من الحاجب طالباً مواجهة القنصل . وكان مصدر المصارين المحترم قد سبقهم الى ذلك ، فطلب الحاجب الى الطالب ان ينتظر مع رفاقه ، ريـــثما تنتهي المقابلة . واذ هم ينتظرون ،

ارتفع صوتهم في النقاش فسمع احدهم يقول :

— اخواني ! احذركم سلفاً بانه سيقول لكم : لقد نقلنا شكواكم الى المراجع المختصة وهي منكبة على دراسة الموضوع .

فرد الثاني عليه :

— يجب ان لا يتسرب اليأس الى نفوسنا . لا شك ان نداءاتنا الى منظمات الطلبة في بلادنا ستجند بعض القوى لتأييدنا. كما ان الصحف أخذت تتحدث عن احوالنا الصعبة . يجدر بنا اذن امهال السلطات ، والتريث كي تختمر الظروف وتحصل عندهم القناعة .

فتدخل الثالث وعبر عن رأيه بقوله :

— انهم يعرفون جيداً أحوالنا ، والقطع متوفر لديهم ؛ الا انهم يفضلون صرف الفائض منه، في شراء الكماليات وتأمين السيارات الفخمة للخمولين والخليعين . انهم يتسترون على طرق الاستنزاف هذه ويجرؤون على تصويرنا كمنافسين لبعض المصالح ، ذات الحاجة الضرورية .

وهنا تدخل الرابع وقال :

— لقد جئت معكم لاثبت لكم مرة أخرى أيضاً بانهم غير

مكترثين بنا . بل اكثر من ذلك ، انهم يعملون على محاربتنا بصورة مبيتة ، لأنهم عاجزون عن ايجاد الحلول التنظيمية وخلق الفعاليات الجديدة للاستفادة منا ، زد الى ذلك خوفهم الشديد من مستوى معارفنا وتنبه فكرنا الناقد .

اذكروا جيداً ما تفوه به الوزير المفوض بالذات ، امام لجنة الطلاب السابقة . الم يوجه كلامه الى الجميع قائلا : « ان بلادنا ليست بحاجة الى اخصائيين . وليس من داع الى اقبال الطلاب على الدراسة في البلاد الاجنبية . يجب على الفقراء والمتوسطين من الطلاب الا يغادروا بلادهم لأنهم سيكونون عالة على الدولة . وابناء الاسر الغنية وحدهم ، لهم الحق في اتمام الدراسة والتخصص » .

اخواني ؟ ان كل قرار يصدر عن ، الحكام يفضح سوء نيتهم . وليس امامنا الا وسيلة واحدة ، للدفاع عن مصالحنا كفئة ضرورية وحيوية، لتطوير البلادفي المستقبل : وهي الانتظام في رابطة ، تطرح المناقشات الفارغة ، وبعض الطرق الحزبية العمياء ، وتدافع عن مصالحنا الحيوية المهددة . اننا لا نروم النجوم ولكن من حقنا الدفاع عن ابسط المطاليب الاساسية .

لم يكن باستطاعة هذا الطالب الواعي تحليل خفايا التطور وقوانين العلاقات واثبات المؤامرة القذرة التي تحيكها

الفئات الرأسمالية الحاكمة ضد الفنيين بصورة عامـة وهم في حالة برعمية ، بعد ان مكنت خراطيمها ، خلال السنين العشر الـتي تلت الحرب العالمية العالمية الثانية، من اعناق الشغيلة ، عن طريق محاربة كل حركة تنظيمية في صفوف العمال والفلاحين وصغار المستخدمين والموظفين ، هادفة من وراء ذلك ، تخريج الفنيين من صلب الاسر الرأسمالية او من الفئات المستعدة لبيع نفسها ، ليتاح للطبقة الرأسمالية الطفيلية البقاء بواسطة عنصر هام لا غنى عنه في كل فعالية انتاجية والسيطرة على الشغيله . . . العنصر الأساسي الثاني في الانتاج . أجل لم يكن هذا الطالب ليستطيع تحليل كل ذلك ،الا انه لاحظ ، بصورة تجريبية، نتائج الاحوال الاقتصادية والسياسية السائدة في بلاده ، وانعكاساتها على وضعه الخاص ووضع أقرانه .

وبينما هم منهمكون في النقاش ، خرج عليهـم وليد مبتسماً محييا مستفسراً ، فأخبروه عن سبب قدومهم ، فاقترح عليهـم الدخول على القنصل المعاون رامي ريثما يفرغ القنصل لهـم . فحبذوا هذه الفكرة .

وما ان دخلوا غرفة رامي، بعد تمهيد من وليد حتى هب الاول الى استقبالهم بابتسامة عريضة وحفاوة بالغة . وليس مثله من يتقن فن الابتسام ومعسول الكلام في أمثال هذه الظروف ،

ثم قال لهم :

ــ ان قضيتكم سائرة في طريق الانتهاء . وهأنذا أعرض عليكم البرقية التي وردتنا بخصوصكم .

ثم قرأ عليهم النص بصوت عال :

« وزير المالية مهتم بقضية الطلاب . طمئنوهم بحسن سير الامور » .

التوقيع

رئيس الديوان

وما انتهى من تلاوة النص حتى كان القنصل قد دخل من باب يصل بين الغرفتين وهو يهتف بنبرة فخمة رافعاً كلتا يديه :

ــ لا يسعني الا ان اهنئكم . والآن عودوا الى دراستكم فالوطن في انتظاركم يا شباب المستقبل .

ثم خرج معهم وهو يتابع من تهنئتهم وتطمينهم ، مركزاً كلامه على المترددين ، متجنباً المحتجين .

ولما انفرد وليد برامي سأله مستوضحاً :

ــ عجيب ! متى وصلتكم البرقية ؟

ــ انها حيلة للخلاص منهم ، ريثما تفتر همتهم البرقية

حقيقية ... الا انها من العام الماضي . وقد وردت حينذاك لتهدئة الطلاب . انك ترى ان مفعولها يسري الى هذا اليوم .

واراد وليد ان يدخل في نقاش مع رامي ، الا انه تذكر قصة روجيه والشباك المنصوب حول القنصل المعاون ، فآثر السيطرة على نفسه ، واستفاد من الفرصة وقال :

— عندي مفاجأة عظيمة لك .

— ما هي هذه المفاجأة ؟

— كنت قبل يومين في زيارة لروجيه في مكتبه ، لما دخلت عليه حبيبتك فرانسواز ، ليوقع لها على بعض الاوراق . انها تعمل تحت امرته ، فيما يظهر .

— هذا خبر عظيم ، عظيم جداً هيا بنا لزيارته الآن .

— اترك الامر لمناسبة اخرى .

— ماذا ؟ اتظن انني مثل هؤلاء الطلاب البلهاء ؟! هيا بنا .

واستعد رامي للخروج وهو يفرك يديه ويقول :

— اخيراً وقعت الحمامة في الشباك .

ولم يسمع وهو في حماسته ونشوته ، تمتمة وليد الهازئة :

— اظن ان الغراب هو الذي وقع في الشباك .

الفصل الحادي عشر

# فارس الفن ... والغرام

كان روجيه جالساً على طاولته يرتب بعض الأوراق ، لما دق جرس الهاتف . فتناول السماعة وتبادل مع محادثه بضع كلمات . ثم استدعى فرانسواز وابتدأها بقوله :

— نحن في انتظار زائر مهم له صفة رسمية ، ومؤسستنا كثيرة التعامل مع بلاده . لذلك نحرص كثيراً على الدقة في معاملته والعناية بشخصه والسهر على ارضائه . ارغب اليك في الاهتمام بالملف رقم «١٧ ب» ، الذي يحتوي قضية ذات اهمية خاصة بالنسبة الينا . مهمتك الآن تنحصر في تفهم النقاط الأساسية التي تدور حولها القضية . لديك نصف ساعة تقريباً لاستيعاب الخطوط العامة . كوني مستعدة بعد ذلك لتلقي التوجيهات المناسبة .

انني كل ما قلت وتظاهري بالجهل التام ، وقت الاستدعاء .

هل فهمت ما عهد اليك ؟

— نعم يا سيدي الرئيس

— الى العمل اذن يا آنسة .

لم تكد فرانسواز تبرح المكان حتى انفجر روجيه ضاحكا بملء شدقيه . وارتفع صوته مخاطباً نفسه ، « مرحى يا وليد . يا لك من عفريت ظريف . استطعت استدراج رامي ، ذلك الثعلب المراوغ ، فانقاد لك مثل النعجة الغبية » .

والحقيقة ان وليد المنتصر اتصل بروجيه هاتفياً واعلن قدومه مع رامي المسعودي ، بعد ما اعتذر من الأخير وتركه قليلا ، بحجة مخابرة احد الاصدقاء ، للاتفاق معه على الذهاب الى السينما .

انقضت نصف ساعة ، ثم قرع الباب بلطف . ودخل الزائران المنتظران فسارع روجيه الى استقبالهما بالترحاب والحفاوة . واحاط القنصل المعاون بعناية خاصة ، وآلى عليه ان يجلس بمحاذاته . ثم قال له :

— حصل لي شرف عظيم بقدومكم . ما كنت اظن انا

سنلتقي بهذه السرعة فلمن اوجه شكري ؟ .

ــ الى صديقنا وليد دون شك ، لأنه كان صاحب الفكرة.

فرد وليد بقوله :

ــ بل يجدر شكرك يا رامي . ما فعلت سوى غرس البذرة في الأرض الطيبة .

وتدخل روجيه قائلاً :

ــ الشعور الخفي الذي كان يخالجني ، وضح لعيني الان . انه وليد الاستلطاف المشترك . فما رأيك أيها الصديق ؟

وضحك الجميع ثم رد رامي :

ــ طبعاً ، القلب على القلب ، من الواجب ، فيما اعتقد ، توجيه الشكر الى شخصين غائبين ، اعنى ذينك التاجرين اللذين اختلفا ، فقربا بيننا . بالمناسبة انبئك باني مهتم بالقضية ، عاكف على دراستها ، وربما لزمني بعض المعلومات .

فقاطعه روجيه بقوله :

ــ دعنا منها الآن . ولنشرب نخب صداقتنا .

قال ذلك ، ثم نهض واتجه نحو خزانة صغيرة ، اخرج منها زجاجة ( مارتيني ) مع ثلاثة كؤوس . وانقضت فترة لعن

رامي خلالها عزوف روجيه عن البحث في قضيـة الوكالة .. كان يأمل ، بتذرعه بالبحث فيها وذكر حاجته الى بعض المعلومات ، ان يضطر روجيه الى الاتصال بمعاونيه ، وحينئذ قـــد تظهر فرانسواز .

اما وليد فكان يسرح انظاره في الغرفـــة . واعجب بالقلاطق الستة ، المعدة لاستقبال الزائرين ، والمصنوعة بصورة تحقق راحة الجالس ، دون ان تقيد حركته اذا اراد الدوران بجسمه وهـو يتحدث الى من حوله ، كما أعجب بطاولة المكتب المصنوعة من خشب الجوز ، والتي روعي في صنعهـا ضرورة اعجاب الناظر ، مع شرط تأدية الخدمات المطلوبة منها في المكاتب التجارية الكبرى. اخيراً علق نظره بلوحة زيتية تمثل « لاعب بلياردو » ، يهم بضرب الكرة . وانه لفي نشوة التأمل الفني اذ روجيه ينبهه بصوته العالي الضحوك وهو يردد :

ـــ اراك ثملا بهذه اللحوحة فهلا صحوت لـ ...

فقاطعه وليد وهو ينظر الى المشروب ، وقـــد استرد بسرعة مرونته الفكرية وحضور النكتة . قاطعه بقوله :

ـــ لأثمل من جديد بخمرة اخرى .. حقيقية هذه المرة .

وقهقه الجميع . ثم تناول وليد كأسه واحتسى منها جرعة

وعاد يتحدث عن اللوحة ، مدفوعاً باعجابه بها ، وايضاً برغبته في اضرام نار الحرقة واللهفة في قلب رامي ، الذي كان يستعجل في قرارة نفسه الخوض في حديث يقربه من فرانسواز .

قال وليد :

– تعجبني هذه اللوحة لأنها موفقة من ناحية الشكل ، فقد جمعت حجوما مختلفة وخطوطا متنوعة والواناً عديدة ، دون تنافر .

وسكت لحظة ثم عاد يقول :

– اريد لوحة اخرى ، بنفس الموضوع ، تجمع بين جمال الفكرة وحسن الاداء الشكلي . اريدها ان تكون تحفة فنية خالدة ، تصبح عرساً للألوان والخطوط ، في حمى فكرة اصيلة مبدعة . مثل هذه اللوحة سيعجز الناظر عن معرفة مركز الثقل فيها ، اذا هو القى اليها نظرة تحليلية . فسيتوزع فيها دور الاشخاص ، وستتعدده المواقف بصورة محيرة .

سيقول بعضهم : ان مركز الثقل في الكرة البيضاء التي يفضحها المخمل الاخضر ، وعصا اللاعب المسددة اليها .

وسيقول آخرون : انه في وجه الضارب ، وقد ارتسمت عليه امارات الاشفاق والأمل .

وآخرون سيقولون : انه في معالم اللاعب الثاني ، الذي ينتظر مكتوف اليدين ، تقرير مصيره المعلق بنجاح او فشل خصمه .

وسيكون في اللوحة امرأة وغلام ...

لذلك سيقول آخرون : ان مركز الثقل كامن في وضع المرأة ، المنهمكة في تصفيف شعرها ، وهي امام مرآة ثبتت على الحائط ، او في وضع الغلام ونظراته القلقة ، وهو يجمع شتات اناء ثمين ، سقط من يده فانكسر .

وأخذ روجيه بهذا المعرض فسأل مستفسراً :

ــ وانت اين ترى مركز الثقل ؟

ــ الأمر بسيط . مركز الثقل لا يُستشف الا باعتبار اللوحة كوحدة متماسكة ، غارقة الجذور في اعماق النفس البشرية . ما يهم لا ينحصر في اللعب ، او تصفيف الشعر ، او جمع شظايا اناء محطم . ما يهم هو الذات الانسانية العاكفة على نفسها ، وهي محومة بكليتها على المواقف المختلفة في هذه اللوحة .

قال وليد ذلك ثم التفت الى رامي سائلا :

ــ اليس كذلك يا حضرة القنصل ؟

ــ طبعاً . طبعاً . عظيم . عظيم .

اما في اعماقه ، فقد كان رامي يكتوي بنارين : تحمل الحديث عن الفنون من جهة ، وقتل الوقت دون خلق فرصة تؤدي الى اللقاء بفرانسواز من جهة اخرى . ولم يشأ وليد التمادي في اغاظة رامي ، بل ساعده على تحقيق مناه ، اذ سأله بعد لحظة :

ــ اظنك قلت منذ قليل،انك بحاجة الى بعض الايضاحات فيما يخص قضية التاجرين . اليس كذلك ؟

ــ بلى . بلى فقد احتاج الى مراجعة الاتفاقيتين ، ، للالمام ببعض الاسماء والتواريخ ومحتوى بعض البنود .

ــ ومتى تريد ذلك ؟

ــ الآن اذا امكن .

وهنا تدخل روجيه في الحديث قائلا في لهجة مازحة :

ــ أراكما تستأثران بالحديث عن القضية وهي تخصني . كم يسرني اهتمامكما . سأعمل على وضع ملف القضية ، تحت تصرف حضرة القنصل .

ثم ضغط على الزر .وانقضت لحظة كانت كساعة بالنسبة الى رامي ، واذا بفرنسواز تدخل عليهم .

ألقت الى رامي نظـــرة خاطفة ، ممزوجة بومضة من

الدهشة . واعجب وليد من تداركها الموقف ، ومحافظتهـا على تصرفها الرسمي الرصين . ثم سمع صوت روجيه يقول :

ــ من فضلك اجلبي الملف رقم ١٧ ب .

ــ سيكون تحت تصرفك بعد لحظة .

ولما عادت بالملف ، استلمه روجيه وناوله لرامي ، الذي اخذه موجهاً ابتسامة خفيفة ، مع هزة رأس بسيطة افرانسواز. وردت هذه بابتسامة مؤدبة مكبوتة . وتصنع رامي الاهـــتمام بالملف ، وشرع يقلبه، مسجلابين الفينة والفينة، بعض الملاحظات في مذكرته .

ولما انتهى من هذه التمثيلية ، اعاد اليهـا الملف ، مرفقا حركته بنظرة حالمة باسمة ، فاخـذته فرانسواز وانسحبت.وما كادت تخرج حتى تبعها رامي ، مدعيا نسيان نقطة ضرورية ، ولم يترك لروجيـه فرصة استدعائها . وكم كان عجب فرانسواز شديداً اذ سمعت صوت رامي :

ــ هالو . هذه انت يا فرانسواز .

ــ وهذا انت يا فرناندو ... اقصد يا سيد رامي .

وتجاهل هو اكتشافها حقيقة امره وقال :

ــ لماذا تقولين لي يا سيد .

ـــ ماذا تريد . هل تود إلقاء نظرة أخرى على الملف ؟

ـــ اي ملف يا جميلتي . قولي لي لماذا تهربين من لقائي ؟!

ـــ انا اسلك طريقي ... وهي مخالفة لطريقك .

ـــ دعينا من الفلسفة . آه لو تعلمين كم انا سعيد برؤياك !

ـــ شكراً .

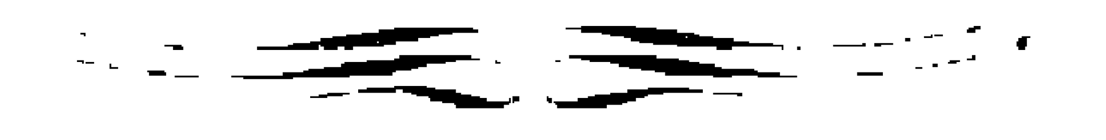
ـــ لن اتركك الا اذا حصلت منك على موعد .

ـــ لا تضيع وقتك .

ـــ ردي على بالقبول ، قبل ان يشتبه روجيه من تأخرى .

واذ سمعت اسم مديرها ، طاف في نفسها حسن صنيعه معها ، وتذكرت قوله لها منذ ساعة ، انه في انتظار زائر مهم بالنسبة الى اعماله . فاحبت ان ترد الصنيع ، وتساهم في تسهيل امور مديرها اللطيف بقبول دعوة عادية . وبالفعل وعدت رامي بالخروج معه .

لم يشعر الاخير كيف انقضى الوقت ، بعد عودته الى غرفة روجيه ، وكيف كان الانصراف ، لانه استحال ، بعيد الحصول على وعد من حبيبته ، الى كتلة من الأخيلة والأحلام .



الفصل الثاني عشر

# الخيال ... والواقع

في غرفة مربعة ، فسيحة الارجاء ، نفيسة الأثاث ، مظللة النور ، كان يُسمع صوت مستحب الجرس ، خاطىء النغم ينساب من غرفة الزينة الملاصقة . وكانت تقطع انسيابه ، بين حين وآخر بحة مخنوقة صادرة من حنجرة نخرها ادمان التدخين .

لم يكن المغني الطروب الواقف امام المرآة سوى رامي ، الذي عمد الى تعديل تصفيف شعره الفاحم السبط المرة الثالثة . الم يلحظ ان هناك احدى الشعرات ، منشقة عن اخواتها المتراصات المصقولات ؟ . لتقل الالسنة في لومه ما تشاء ، فانه من انصار الكمال المطلق . وكما انه لا يحتمل اعتراضاً من اي انسان ، فانه لا يطيق نشوزاً عن المجموعة المصهورة ، بفضل

عنايته الدائمة ، ولو كان ذلك من شعرة واحــدة فقط . اخيراً نجح في مسعاه وها هو ذا يتبختر ، متهادي الخطى ، وفي ارجاء غرفته الفسيحة ، كأنه عروس بكر تتثنى امام فارس احلامها . الا ان فكرة طارئة المت بخياله الخصب ، فارتد نحو غرفة الزينة؛ وان هي الا لحظة حتى عاد وبيده بخاخة العطر . واتجـه بخطى راقصة نحو سريره ، وشرع يعطر اللحاف ، حارصاً كل الحرص على توزيع الرذاذ المطيب على كافة اجزائه، خصوصاً ناحية الراس. وما كاد ينتهي من عملية التعطير ، حتى ارتفع صوته قائلاً :

ــ الآن اصبح الفراش لائقاً بك يا حبيبة قلبي » .

* * *

استقل رامي سيارته ، وقادها من حيه الواقـع قرب «سولفيرينو» متجها نحو «الاوديئون» عبر شارع « سان جرمان » لالقاء فرنسواز . وشرد خيـــاله وهو قابض على مقود السيارة المطواع الغدار . فحسب نفسه موجـه المقادير ، وتراءى له انه كنابليون ، يسير من نصر في « سولفيرينو » الى نصر جديد في ساحة « الاوديئون » سها التاريخ عن تسجيله .

وشرد خياله ثانيـة ، متمازجا باحلام النفس العميقة ، والايمان الساذج المخدر ، فتراءت له حينئـذ صورتان : الاولى

انه انتقى مسكنه في نقطة مركزية مهيمنـة تمكنه من العاصمة كلها ، كما ينتقي القائد البارع اعالي قمة تكشف له المناطق المحيطة ، ومن حيث يستطيع الاختيار بين الانقضاض على الحي اللاتيني ، ليتفك بقلوب الطالبات او الفتيات الشاردات السارحات بحثا عن المغامرة ، وبين الهجوم على حيي « الهال والشاتليه » المتجاورين ليلهب مخيلة العاملات البسيطات ، تاركاً مومسات هذين الحيين وقلوبهن تحترق حسداً وغيظاً . انه لم يشأ لا هذا ولا ذاك ، فبوسعه التحكم بقلب باريس وشريانها الاساسي، اذا هو فضل غانيات حي « الاوبرا » ، وفاتنات « الشانزيليزية » .

الا ان الصورة الثانية هدمت في طرفة ما بنتـه الاولى في لحظة . اذ تجسدت له في حنايا ذهنيته الحرة ، امكانيته المطلقة في القبول والرفض ، سابقاً بذلك كل شطحات الوجوديـين ، واوهامهم بحرية الاصطفاء . . والاصطفاء الحر ... فاعرض عن الطالبات ، لأن عشرتهن الدائمـة للكتب اذ هبت عنهن رونق الوجـــه وبريق العينين ، وتمترهن الدائم بالفكريات افقدهن عفوية الغريزة وحيوية القلب . كما زهـد في غانيات الاوبرا ، والشنزيلزية ، لأنهن استحلن الى كتلة ثمينة مفقرة ، من الاصبغة والالوان ، تخفي قلباً مصفحاً ونفساً هزيلة وجيباً وسيعاً فاغر الفاه ، ولما عرضت عليه عاملات الهال انتشاله من هـذا العـالم

المتكلف المتآمر النهم ، شعر برغبة شديدة في التقيؤ ، وانبرى من اعماقه همس مبهم يردد : « خشنات ، قذرات . زد الى ذلك انهن جميعاً يحلمن في الخلاص من وضعهن الشاق بأي ثمن ، حتى ولو كان ذلك بالتخفي تحت ستار من الحب والتضحية . اي فرق بينهن وبين جاراتهن المومسات ، المتسكعات في حي الشاتيليه بحثا عن فريسة متطوعة » .

ربما كان رامي قد استشف في ومضة خاطفة ، انطباعة تراودنفس الرجال بصورة مبهمة فعبر بذلك عن شعور صادم عام.

كذلك كان رامي فريسة الاحلام المقبلة المدبرة ، ونهبة الهواجس المتقلبة . ولم تنتشله منها الا قامة فرانسواز ، المنتصبة عند مدخل ( الاوديئون ) . وسرعان ما تفتقت في نفسه انطباعات جديدة ، اكثر دقة وابلغ وضوحا ، على اساس شخص معين الصفات والاحوال .

ثم نزل اليها بعد ان اوقف سيارته وصافحها محييا ودعاها الى الركوب معه .

وقال لها مخفيا تلعثمه ، بعد ان انعطف يساراً في اتجاه « ساحة سان ميشيل » :

— ما رأيك في الذهاب الى المراقص ؟

— آسفة جداً . انا لا احسن الرقص ولا احبه .

— اليس في رأسك فكرة ؟

— كنت أوثر الذهاب الى المسرح الا ان الساعة جاوزت التاسعة . ما قولك في الذهاب الى السينما ؟

ولقيت هذه الفكرة نجاحا في نفسه ورضا وحمد الله انها لم تتحمس المسرح . لو انها فعلت ، لحكمت عليه بالجلوس خلال ساعتين رهيبين ، في جو ثقيل غليظ . لذلك رد بقوله :

— فكرة حسنة . فلنذهب اذن صوب الشانزيليزية .

وانحدر يسارا جاعلا نهر السين عن يمينه . وبدأت سيارته تمر بجسور (السين) المتتالية على مسافات قريبة ، وتراقصت نفس فرانسواز الحساسة ، على انوار المصابيح المنعكسة على صفحة الماء عند كل جسر . وغرست ابتسامتها المنعشة قوة الجبابرة في نفس رامي ، فراح يحدثها عن نفسه كما يفعل البطل في الافلام الامريكية . قال :

— انها لمصادفة عظيمة كونك تشتغلين عند روجيه .

— حقاً !

— اتعرفين ان مديرك يعول علي في اهم قضاياه . انه لا

يستطيع الاستغناء عني . لقد انتدبني حيث اخفق القنصل العام والوزير المفوض .

— لا ادري عما تتكلم .

— اقصد قضية الملف وغيرها وغيرها ..

— ها !

— انا الوحيد الذي في وسعه حلها . وهـذا يعني خلاص روجيه من ورطة جسيمة ...

ثم تابع رامي التحدث عن شخصه وامكانيته ، بينما لم ترسخ في نفس فرانسواز الا فكرة واحدة ، هي ان روجيه في ضيق ومعلق برامي ، فحمدت الله انها قبلت بالخروج ، وشعرت بشيء من الاطمئنان ، لأنها ساهمت في تأدية خدمة لروجيه ، دون ان يشعر هو بهذه البادرة الطيبة الحسنة .

الا ان فرحها بقبول ذلك ، لم يمنعها فيما بعد من ازاحة يد رامي ، الذي اغتنم فرصة الظلام في صالة العرض ومن يده محاولاً مداعبة يديها .

آه منها . لقد هدمت باعراضها عنه كل ما بنى من صور وآمال . ليتها كانت تعلم كيف رسم مخططاته ، قبل ان تمتد يده مداعبة ، وكيف انتقى اللحظة المناسبة بالاعتماد على الجو النفسي

الملائم الذي تخلقه احياناً بعض مشاهد الافلام .

انطوى رامي على نفسه ، وطفقت صور الفلم المعروض تمر به متقطعة . اما فرانسواز فكانت تتبع مناظر الفلم في اهتمام شديد . لم تكن القصة جديدة في موضوعها . كانت مستمدة من فكر عجيف ، اتاحت له شركات السينما التجارية فرصة الظهور والشهرة والربح الوفير . الا ان المخرج كان موفقاً في اختيار المناظر الطبيعية البديعة . كما ان انتقاء الملابس والاثاث والزينة ، كان شيقاً ناجحاً . فاستأثر ذلك باعجابها وجعلها تذهل عن موضوع الفلم ، الذي كان كأغلب الافلام الاميركية :

« مشكلة تحدث في مكان ما ، وتجري في زمان ما ، فتخفق كل القوى في حلها والتغلب على مسببيها . ثم يظهر شخص واحد ـ اميركي طبعاً ـ مهنته صحافي او كاتب او شرطي هاو فيذلل وحده كل المشاكل . وخلال تدخله يتعرف على امرأة .. ولو كانت حوادث القصة تجري في الآسكا او الصحراء .. فيصرع قلبها من اول نظرة . واخيراً ينتهي الفلم والبطل منتصر على كل الجبهات » ...

لو ان فرانسواز سألت مرافقها ، بعد خروجها من السينما ، عن رأيه في الفلم ، لما ظفرت منه بأي خبر او تعليق . اذ كان اثناء العرض منشغل الذهن عن تتبع المشاهد وربطها . ولم تنطبع

في ذاكرته الا بعض المواقف ؛ واحست هي بانكماشه فآثرت الخلود الى الصمت طول الطريق .

اما هو فلم يكد يدخل غرفته ، بعد اوبته وحيداً ، حتى انكب على سريره معولاً . واخذ يضرب بقبضته وجه السرير بحدة وعصبية ، فتموت ضربته على الفراش الوثير . ثم صاح في حسرة محرقة .

— « البطل في الفلم بنظرة واحدة بنظرة واحدة . يوقع الفتاة في شباكه الست احسن منه !... الست احسن منه؟» ..

الفصل الثالث عشر

# الا تتنازل لي عنها ؟

كان يوم الاحد. ولم تكد الساعة تجاوز الاثنتين ، حتى بدأ سكان الاحياء المجاورة والضواحي القريبة يتوافدون على حديقة اللوكسبورغ . يفد الى هذه الحديقة عادة، عنصر الشباب من الطلاب والاجانب القادمين في سياحة قصيرة. الا انها تذخر ايام الآحاد المشرقة ، بالفرنسيين من كل الاعمار ، كانما لتذكر انها ما زالت حديقة فرنسية .

الا ان المطلع يدرك من اول نظرة ، انهـا حقا فرنسية من طريقة تخطيطها . فبينما تتزين الحديقـــة الانكليزية بطابع البساتين الطبيعية ، يغلب على الحديقة الفرنسية جمال الصنعة ، وانفتا الافق ، كما تميزها اشكال المروج والاحواض المرتسمة

بصورة هندسية .

في ذلك اليوم، كان وليد ضائعاً بين الجمع الزاخر . وكان وهو جالس امام الحوض الكبير وظهره من طرف مرصدباريس، يقلب مجلة فرنسية قديمة ، وجدها على الكرسي المجاور . لم يكن بادي السأم آنذاك ، الا انه كان على اهبة الاستسلام لمثل هذا الشعور . وفجأة ظهر عليه رامي وابتدره بقوله :

— سلام عليك . هل انت وحدك يا وليد ؟

— انا وحدي كما ترى .

— اقصد هل انت في انتظار احد الاشخاص .

— كلا

— ما رأيك في جولة ؟

— افضل الجلوس لاني احس بالتعب .

— حسناً .

قال ذلك ثم جلس . وساد بينهما الصمت مدة خمس دقائق كانا يتتبعان خلالها لعب الاطفال ، حول الحوض المثمنة الاضلاع ، وتراكضهم ذات اليمين وذات الشمال ، حول حافته الوسيعة لتلقي مراكبهم الشراعية القصيرة . ودفعها من جديد في اتجاه آخر .

لم يخف على وليد ، رغم تتبعه لعب الاطفال ومرحهم ، ان جاره متقبض النفس محزون الفؤاد . فسأله عما به ، فرد عليـه رامي وقد وجد الفرصة للتنفيس عن همومه :

ـــ ارأيت الى هذه الملعونة ؟ صدتنى بصورة جارحـة ولم تتقبل مني حتى ابسط انواع المداعبة .

ـــ اية ملعونة ؟

ـــ فرانسواز طبعاً . من غيرها تجرؤ على صدى ؟

فاجاب وليد متجاهلاً القسم الثاني من كلام محادثه :

ـــ عليك بالصبر والاناة .

ـــ اي صبر يا اخي . لعنة الله عليها وعلى روجيه معها .

وتدارك وليد الموقف، وراح يشجع العاشق المخذول قائلا :

ـــ انصحك بالثبات وبتوثيق عرى الاتصال مع روجيه . ليس من شك في ان فرانسواز ستتساهل تدريجيـاً في موقفها ازاءك خصوصاً انها تنظر بعين الاحترام والتقدير الى مديرها روجيه . حبذا بالمناسبة لو عملت جديا على الاتصال بصهرك علي بك . تأكد تماماً انك لن تنتهي من حل هذه القضية بما فيه مصلحة روجيه، حتى تكون فرانسواز قد وقعت في شباك حبك . طبعاً .. يجب عليك ان تعدل بعض الشيء من طريقتك . الم ترك

التجربة انها تستعصي عليك بالمهاجمة المباشرة ؟ اليس من مصلحتك اذن اللجوء الى خطة اكثر مرونة وحنكة ؟! دع الاحـــلام تتراقص في مخيلتها ، والاماني تسرح وتمرح في دخيلتها ،بالضرب على وتر العواطف الرقيقة والميول البريئة .

على كلمات وليد المشجعة ، استفاق رامي من كبوته التي حلت به منذ يومين ، وعادت اليه شجاعتـه مدعومة باستعداده الشخصي للمغالاة في تقدير ذاته . وافتر ثغره عن ابتسامة أمل وثقة . ثم دبت في عروقه اندفاعة الحياة قوية ملحة ، فنشرت في نفسه الشعور بالحاجة الى الحركة والتجدد .

التفت حينئذ الى وليد وسأله :

ــ هل عندك مشروع خاص لهذا المساء ؟

ــ كلا ...بلى ، بلى . في هذا اليوم تعقد في المدينة الجامعية حفلة ( الكاردن بارتي ) وستبقى حتى منتصف الليل .

ــ دعنا من المدينة الجامعيـة ، ووسطها المبتذل العامي . فهي تبدو لعيني كثكنة ، رغم جمال ابنيتها وحسن موقعها .

ــ صحيح انها ثكنة مملوءة بالجنود الانكشاريين والخنثين وصحيح ايضاً ان المبدأ الذي بنيت على اساسه صحيح محمود . اذ لا شيء ابدع من تصور براعم النخبة ، وقـد تقاطرت من كل

انحاء العالم ، لتجتمع على صعيد واحد . الا ان اختلاف درجات الرقي في البلدان ، وتفاوت النسب في حضارة البشر قد انعكسا فيها . فاختل توازن القوى الممثلة بحسب الجنسين من جهة ، وبحسب البلدان من جهة ثانية .

لو كان جو الحفلة من نفس النمط ، لكنت اول زاهد في الذهاب . لكنه حقاً ممتع وظريف .

وسكت لحظة . ثم سأل :

— هل توافق على الذهاب .

— حسناً ، سأذهب .

* * *

لما وصلا الى المدينة الجامعية، تكفل وليد بقطع تذكرتين. واستهلا جولتهما بالمرور بردهة البيت الدولي. ثم بلغ مسامعهما ، عن طريق المكبرات، صوت المذيع يعلن ابتداء عرض الرقص الوطني في الساحة الخلفية . فانطلقا اليها .. حتى اذا بلغاها الفيافيها الوفا متراصة ، شاخصة الانظار الى المسرح المعقود في الهواء الطلق . ورأيا على دفته عشرة شبان ومثلهم من الفتيات ، يعرضون رقصة باسم مقاطعة ( بريطانيا ) الواقعة في غرب فرنسا . وبينما كانت الحلقات تُعقد وتُفرط ، والاقدام ترتفع وتنخفض ، كانت

اثواب الفتيات الملونة المنقوشة ، تتماوج ثملة على وقـــع مزمار ساذج النغم .

ثم عرضت مقاطعة الالزاس لوناً من رقصها المحلي فتبعتها السويد فاسبانيا .

ولما عرضت الفيتنام رقصة وطنيـة رمزية ، صفق لهـا الجمهور كثيراً .

وبكلمة واحدة كان العرض مسرحا للالوان والازياء ، وعيداً للشباب والحركة .

ولما انحدرت شمس ايار الحلوة نحـــو المغيب ، مودعة الالوف من المبتهجين ، سطعت الانوار من السرادقات المنصوبه باسم البلدان المساهمة ، فبدت كحلقـة وهاجة ، منعقدة حول الساحة الفسيحة .

ثم بدأت الانغام الموسيقية تصدح ، منسابة الالحان بين الاغصان المخضوضرة . وتلاقت الحان الهند الساذجة الحزينة ، بالحان الفالس النمسوى الفرحة النشيطة وتحدثت امـم عديدة بالاغاني ، داعية الناس الى زيارة خاطفة الى لبنان واكل التبولة والحمص او الى ضفاف الرين لشرب جرعة من خمرته المنعشة . ليس بعجيب اذا عادت الى رامي فرحته وثقته . اي قلب منقبض

لا تنفرج كربته ، في مثل هذا العيد المعقود في حمى الطبيعة .

والتفت وليد الى صديقه وقد سُري عنه وقال :

— الم اكن مصيباً حين دعوتك ؟

— بلى . كنت مصيباً ولم اندم ابداً على الحضور .

واذ ذاك ، سمعا صوتاً ناعماً يصرخ :

— وليد . وليد . !

والتفت الشابان فالفيا فتاة ، كستنائية الشعر ، فارعة العود ، بارزة المفاتن ، تشع شباباً وحيوية .

لقد كانت ( الزا ) ..

انها الفتاة التي تعرف اليها وليد منذ شهر وقد تصنع المرح ، بعد خروجه من بيت روجيه .

— هذه انت يا الزا .

— بلحمي ودمي . كم انا فرحة بلقياك .

— وانا ايضاً .

وسكت لحظة ثم قال :

— اقدم لك السيد رامي .

بعد ان حصلى التعارف ، تابع الثلاثة سيرهم ببطء . ولم تمض بضع دقائق حتى قال رامي لوليد هامسا :

ــ هذه الفتاة عظيمة . الا تتنازل لي عنها .

ــ انا لا اتمسك بها كثيراً . الا انها كانت لطيفة جـداً معي .على كل حال ، الحديقة ملأى بالفتيات ، فما عليك الا العمل على دعوة احداهن الى الرقص .

انزعج رامي من هذا الرفض . الا انه كتم انفعاله وتابع سيره بصحبتها . وبعد ربع ساعة تقريباً ، اختفى عن انظارهما دون ان يخبرهما بذلك .

وبحث عنه وليد مع صديقته الزا ، ولما يئس من العثور عليه قال لها :

ــ هيا بنا نحو السرادق اللبناني . هناك بعض المأكولات الوطنية الطيبة .

ــ هيا بنا .

وامضيا هناك ساعة ، مرت بها كلمح البصر ، قضياياها بين المزاح والمداعبـة . واعجبت الزا شديد العجب بالتبولة ، ووجدتها مستساغة الطعم مع العرق اللبناني . ولما صعدت الخمرة الى رأسها تمتمت في اذن وليد في رقة ودلال :

ـ لشد ما احب هذه الحمرة الا ان حبي لك اكثر بكثير .

فرد عليها وليد مغازلاً :

ـ اشد ما احب الطيور ، الا ان حبي لالزا اكثر بكثير :

ـ هل انا طير ؟

ـ بعيني يا حمامتي الصغيرة .

ثم انطلقا نحو حلقات الرقص المنعقدة هنا وهناك في جنبات الحديقة. الا انهما اكتفيا برقصة واحدة امام البيت الياباني. وامضيا بقية الوقت في تتبع الاخرين في رقصهم ومراحهم .

كانا في نشوة لا توصف . ومر بهما الوقت خفيفاً لطيفاً وهما سابحان في حلم خاطف .

وبعد منتصف الليل قادتهما خطاهما المترنحة ، الى زاوية منعزلة متقاربة الاشجار ، حيث طوتهما الظلمة بين احضانها ..

الفصل الرابع عشر

# القوي الضعيف

استلقى علي بك، صهر القنصل المعاون ، على مقعد مريح في انتظار القهوة . وان صح ما يقال عن وجود علاقـــة بين الشخصية والمنظر الخارجي ، فان الغريب لن يرى فيه ، اذا رأى جسمه البرميلي ووجهه الغبي المتثاقـل ، سوى نموذج للخمول المدلل . كان ساعتئذ مثقل المعدة بالمآكل الدسمة المعقدة والماء البارد ، وكان كرشه الضخم يتأرجح لأقل حركة .

ثم ظهرت زوجته ومعها القهوة التركية مصبوبة في قدحين صغيرين من البلور الثمين الملون فابتدرها بقوله :

— تأخرت يا بهيجة .

— حينما تذوق طعم القهوة ستعرف سبب تأخري .

— ومالت نحوه وهي تشير برأسها قائلة .

— خذ الفنجان الأيمن فرغوته كثيرة .

وتناول الفنجان وهو يقول :

— لا شيء اعظم من القهوة ، بعد وقعة ثقيلة .

وجلست بهيجة الى جانبه ، واخذا يحتسيان القهوة سوية ثم سمعته يقول :

— الحرارة آخذة في الازدياد والنوم اصبح مستحبا .

— لا اسمع منك الا الحديث عن الأكل والنوم .

— ماذا تريدين ان اعمل . أأرقص لك ام أغني !؟

— لا هذا ولا ذاك ، لكن على الاقل ، تفوه بكلمة حلوة من وقت الى اخر . اذهب مرة الى السينما وتعلم كيف يقول الممثل كلمات ساحرة تعجب النساء .

فاحمر وجهه وصاح في وجهها :

— اخرسي يا قليلة الحياء . كفى فنطزيه وعلاك ، لا ينقصك شيء ابداً . اكلك موجود وشربك موجود . ورجل مثل الاسد فوق رأسك موجود . لا شيء احسن من الأكل والنوم ... اذ لولاهما لمتنا من زمان .

— اعرف ذلك . انما هناك اشياء كثيرة جميلة في الحياة .

ـ ضربة تقلع رقبتك . اليوم أنت مجنونة .

ثم تابعا احتساء القهوة ، كأن لم يحدث بينهما شيء .

ما دار بينهما ، ليس سوى صورة من حياتهما اليومية العادية . أكل ونوم ، وحديث عن الأكل .. وصلة بهيمية . زد الى ذلك كلمات فظة ، يتعمد علي بك ملء اذني زوجته بها ، ظنا منه ان ذلك نوع من الرجولة والتسلط . ويموهبها ضعفه الشديد وتخاذله النفسي وحبه الشهواني لزوجته بهيجة . وحين كانت هذه تهم بتناول الرشفة الاخيرة من قهوتها ، دخلت الخادمة الصغيرة وبيدها رسالة . فقفزت من مكانها صائحة في سرور ظاهر :

ـ هذه رسالة من اخي رامي . كم انا مشتاقه لسماع اخباره ! خذها يا رجل واقرأها بصوت عال .

تناول علي بك الرسالة وفض الغلاف ثم قرأ :

صهري الغالي العزيز !

رسالتي اليكم لا تحمل الا القليل من صحيح شوقي الكبير وصادق حبي العظيم . آه . كم كنت اود لو كنت معكم ، اطالع في وجهكم البشوش ، امارات الود الخالص ، واشارات الحب الامين !

بل ليتكم كنتم معي لتدركوا بدقة تدفع التردد ، وصحة

تمنع الشك ، أنواع المصاعب التي تتحداني في اداء مهام وظيفتي . لئن كنت ابذل من ذات نفسي ،فهذه التضحية ارخص مايقتضيه عظم المقصد . بذلك اكون عندحسن ظنكم بي، وحريا بمساعدتكم المشكورة وعونكم المحمود .

اليوم اعترضت سبيلي مشكلة عويصة ، قد تؤثر فيما بعد في حياتي السياسية . ذلك ان رجلين من كبار رجال المال ، قد تخاصما في نيل وكالة احدى الشركات . ودخل في روع بعض الاوساط الرسمية العليا ، بعد دس الحساد وكيد العذال ، انني المسؤول عن هذا الخصام ، وان الالتباس جاء نتيجة تهاون من عندي ، واستهتار من طرفي .

وأنا كما علمتم مثال العناية واليقظة ؛ الا ان هـذه التهمة اللاصقة ستستفز المتآمرين المتربصين للتجريـــح في شخصي والتشهير باسمي . فهلا انتصبتم باسم الحـــق المغدور ، والبرىء الموتور ، لتردوا الى صفحتي نصاعتها ورونقها .

رجائي اليكم ان لا تردوا بنزق وعنف ، فتدلوا العذال على مواطن الضعف ؛ بل تجاهلوا شخصي واسمي ، واكتفوا بالحل العبقري ، الذي يهدم هذه البلية اللاحقة من الاساس ، لأبقى رافع الرأس .

وان ذلك لأيسر من تنشق النسيم بالنسبة اليكم ، نظراً

الى سعة نفوذكم . ومنذ استلامكم رسالتي هذه ، سارعوا الى العمل قبل ان يفوت الاوان،فيحل بي الذل والهوان . ولتعلموا ان الحائر المعذب البعيد عن رعايتكم ولطفكم ، يدعوكم كما يدعو الطفل اباه الى اخماد احد الصوتين باحدى طرقكم الناجعة العديدة التي رفعتكم في مدة عاصفة الى قمم النجاح .

ان لي ثقة لا تضاهي باستعدادكم وميلكم الى النجدة ، والبرهان انني ارفق رسالة هذه بورقة عليها كل ما قد تحتاجون اليه من معلومات . وتفضلوا بقبول فائق شكري واحر سلامي : ولا تنسوا ان تبلغوا اشواقي ومحبتي لشقيقتي عقيلتكم المحبة البارة .

رامي
ولدكم

ما كاد علي بك ينهي الرسالة ، حتى نهضت زوجته صارخة معولة :

— ولي على قامتي . المسكين . المسكين .

ثم صرخت في زوجها :

— قم . ماذا تنتظر ؟

— اصبري لحظة .

— كيف اصبر . الا ترى حالته . هو في داهية سوداء .

— اقصد اصبري قليلا ، حتى افهم بعض المعلومات .

— اقرأها في الطريق . والله ان لم تتحرك حالاً ، فسأتركك وحدك وسأذهب الى بيت اهلي .

— لا . لا يا حبيبتي . ها انذا قائم .

واخذ علي بك يلبس ثيابه بسرعة ، وزوجته من حوله تستحثه تارة وتهدده تارة وهو يطمئنها ويسترضيها .

وما ضره ان تذلل لها ...

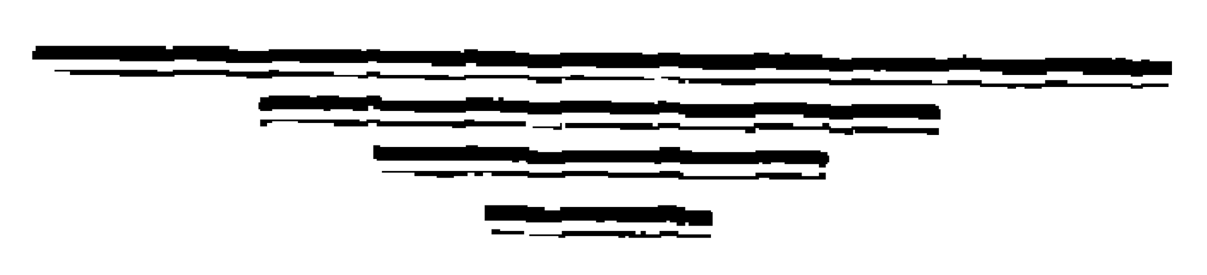
بعد قليل سيصير بين رجاله المأجورين المتملقين، وعصابته المجندة المستعدة .

ولئن اطاع زوجته حبا وتولها ، فهناك من السياسيين المعروفين من ينحني امامه خوفا واسترضاء .

هذه سنة الحياة اذا كانت مريضة ، وهذه شريعة الاشخاص اذا لم يكن لهم ضمير ومعتقد . . سلسلة من التعالي والتزلف بحسب المواقف والافراد .

فليذهب اذن للذود عن قريبه . اليس له تأثير بالغ حتى على الحلقات العليا ، في احد الاحزاب التي الفت الخروج من الحكم من الباب ، لتعود اليه من النافذة ، معدلة المظهر ، ثابتة الاساس والمصدر !؟

فليذهب ولا حرج .



الفصل الخامس عشر

# معركة الواجب

جلس وليد الى المستشار الاقتصادي يحادثه ، وكان قد قدم اليه ، في امر زيادة المرتب الشهري . ووعده المستشار بابلاغ الوزير المفوض ، بالاشتراك مع رامي المسعودي .

كان وليد يقبض ٢٠ الف فرنك شهرياً . وكان يضم هذا المبلغ ، الى ما يتسلمه من ابيه الموظف في وزارة الزراعة ، فيكفيه المجموع لسد جميع نفقاته الضرورية .

الا انه بدأ يحس بوطئة ارتفاع الاسعار ، شأنه في ذلك شأن جميـــع المعتمدين على دخـل محدود في معاشهم كالعمال والموظفين .

قبل في البداية بالتضحية ، وتخـلى عن بعض المصاريف غير الاساسية ، فقلـل من ذهابه الى السينما ، ومن تردده على

المقاهي . الا ان الاسعار لم تقنـــع بهذه التضحية ، بل تابعت ارتفاعها ، مهددة حتى مصاريف اللباس والأكل .

اما سبب هذا الارتفاع فناجم ، فـــيما يخص السياسة الخارجية ، عن خطة فرنسا الخاطئة بعد الحرب ، اذ سخرت نفسها لخدمة فئة جشعة نهمة وزجت نفسهاوابناءها ومقدراتها ، في حروب استعمارية بشعة للحفاظ على ارباح اقليـــة : تتنافى مصلحتها مـــع مصلحة الشعب الفرنسي ، وتتضارب خططها وتصرفاتها مـع ما ينشده لفرنسا بعض ابنائها المثاليين وكبـار المفكرين الشرفاء فيها ، وعلى الصعيد الداخلي ، ساعد على هـذا الارتفاع تكاثر وتهافت الوسطاء من تجار ومحتكرين وخمولين على الانتاج ، للاستفادة من زيادته على حساب العامليـن الشرفاء مستفيدين من العودة ، بعد سياسة المراقبة والتوجيه التي كانت سائدة ايام الحرب الى سياسة الحرية .. حرية الاستثماروالفوضى الجشعة الدنيئة .

سُر وليد بوعدي المستشار . وكان هذا طيب القلب الى حد ما ، متنبه الوجدان بفعل ايمانه السليم ، فكان كالمستثنى بالا في وسط المفوضية اللصوصي . الا ان شروط الحياة فيالمفوضية واوضاعها ، كانت احياناً تنعكس في بعض تصرفاته فتدفعه الى رفض التضحية اذا كانت على حسابه فقط . ما عدا ذلك ، فانه

كان ميالاً الى تمنى الخير للناس والسعة للجميع .

ثم انتقل بها الحديث الى احوالها الخاصة ، فسأله وليد على سبيل الملاطفة والمجاملة عن مشاريعه . فسكت المستشار لحظة ، ثم بدأ بالكلام ، وعيناه مغمضتان بعض الشيء ، كأنهما تستشفان عن بعد حلماً آخذاً في التحقق . قال المستشار :

ـ كنت اتمنى في البداية ان اكون موظفاً في باريس ، ومن حسن الحظ حققت مناي بفضل احد اقربائي . اما اليوم فاتمنى لو حولت الى اسبانيا . انها بلاد جميلة ، لها سحر الشرق ومتعة الغرب . انما اخاف ان لا احقق حلمي ، لان منافسي في السلك اصبحوا زمرة شديدة البأس ، تمت بالصلة الى اكبر الاسر الحاكمة وأوسعها ثراء .

فسأله وليد قائلا :

ـ لنفرض انك تمكنت من تحقيق حلمك ، فماذا تبتغي ان تكون هناك .

ـ اود ان اكون قائماً بالاعمال في مدريد . لو اتيح لي ذلك ، لصرت اسعد الناس . سيكون لي حينئذ بيت خاص وسيارة رسمية . وبما ان اعمالنا هناك قليلة جداً ، فسيتاح لي

التغيب عن المفوضيــة للتنزه في الاندلس وجزر الباليار كما في مونت كارلو ونيس اللتين لا تبعدان كثيراً عن اسبانيا .

آثر وليد البقاء على الصمت ، رغم اعتقاده الضمني ، ان اعمال المستشار وصحبــه من ملحقين ومعاونين ، اذا اجتمعت كلها على رأس موظف واحد ، فيه اندفاع ونشاط ، فانه يموت برما من كثرة الفراغ .

وبينما هما في ذلك اذا بالباب يفتح ، واندفع منه خمسة من موظفي المفوضية ، من جملتهم رامي .وكان يتقدم الجميع القنصل العام ، حاملا ربطة كبيرة .

ثم اغلق الباب وسُمع القنصل العام يهتف :

— وصلت السكاير . . وصلت السكاير .

ثم وضع الربطة على الطاولة بينما اصطف الجميع في شكل حلقة . وضحك وليد في نفسه من منظرهم العجيب ، وهم متهافتون كما يتهافت الاطفال الصغار على قطع الحلوى .

ثم نثر القنصل العام محتويات الربطة وهو يقول :

— لدينا مائة علبة .

فاندهش الموظفون ، وقال احدهم متسائلا :

— عجيب . حصتنا اكثر من ذلك .

فأجاب القنصل العام :

— احتجز الوزير المفوض مائة علبة لنفسه .

فهز الموظف رأسه في استياء ثم قال مطمئنا نفسه :

— على كل حال بقي لكل واحد اكثر من خمس عشرة علبة .

فرد القنصل العام .

— لا اظن ذلك .

ولم ينتظر اي تعليق على قوله ، بل عمد الى فرز العلب من جهته وهو يعد ، ولما وصل الى الخمسين ، توقف قائلا :

— هذه حصتي .

فصاح الموظف :

— تأخذ خمسين علبة لنفسك ، وماذا سيبقى لنا .

— خمسون علبة .

— باي حق تستأثر بنصف الكمية . الاستهلاك يتعلق بعادة الشخص وحاجته لا برتبته .

— السيكارات هذه المرة من نوع ( اللوكي ) وانا احبه بصورة خاصة .

فانتفض موظف آخر واجاب في حدة ظاهرة .

ـــ في المرة الفائتة كانت السيكارات من نوع (الكامل) ، ومع ذلك احتجزت نصفها .

ـــ ذلك لاني استسيغ السكائر الاميركية .

فقال وليد بصوت منخفض ينقط تهكما :

ـــ والانكليزية أيضاً .

فاجاب القنصل العام .

ـــ والانكليزية ايضاً .

وتدخل رامي في النقاش ، محتجاً بقوله :

ـــ كلنا نحب السكاير الطيبة ، فلا داعي الاستئثار بحصة الاسد .

فأجابه القنصل المعاون ، وقد سرت في عروقه رعدة من غضب :

ـــ حصة الاسد .. استأثر بها الوزير المفوض . اما انا فلم آخذ سوى نصف حصته .

قال ذلك . ثم جمع الخمسين علبة في ورقـــة الربطة ، وانسحب بين غمغمة الموظفين واستيائهم .

واستفاقوا بعد لحظة على صوت الموظف الاول وهو يهتف :

ـ بقي لنا خمسون علبة وسيصيب كل واحد منها عشر علب.

فلفت المستشار نظره بقوله :

ـ لا تنس وليد .

فصاح بصوت محتد :

ـ السكاير الموظفين الرسميين، ووليد ليس سوى مستخدم محلي ، لا حق له في السكاير المعفاة من الرسوم . ان شاء التدخين فما عليه الا شراء السكاير من السوق .

لما كان وليد معتادا على هذه المشاكسات الصبيانية فانه اكتفى بنظرة استخفاف ، الا ان هذه النظرة كانت كافية للتعبير عما يشعر به ، في قرار نفسه ، من ازدراء شديد لهـــذا الفأر الحقير ، وامثاله من الجرذان النتنة . وكان يعرف جيداً خبيئة نفس هذا الموظف الوقح ، كما يعلم ان البقية الـتي حافظت على السكوت لا تختلف عنه في طبيعتها باستثناء المستشار الطبيب نسبياً .

ثم تدخل رامي كانما لينهي المشكلة :

ـ لا داعي للخلاف . ساعطيه خمس علب من حصتي .

لِمَ تبرع رامي بخمس علب من حصته ؟ افعل ذلك عن طيب قلب ، وصدق استعداد وسخاء ، ام تَوددا اليـه ، لدوره

الخاص في تسهيل التقرب من فرانسواز ؟! ما من احد يستطيع الرد . هناك احياناً تصرفات تصدر عن الاشخاص ، وتبقى غامضة اذا قيست الى اخلاقهم وطباعهم .

اما وليد فقد اكتفى بقوله :

ـ اشكرك على هذه البادرة . انا لا ادخن الا قليلا ثم انني لا اتردد عن شراء السكاير من السوق ، اذا طاب لي التدخين .

وخيل الى الموظف المحتج ، انه المعنى بهذا الرد فصاح :

ـ هل تقصد اننا نضن على انفسنا . اعلم تماماً اننا نصرف عشرة آلاف فرنك في اصغر سهرة .

ـ اصرف مائة الف اذا اردت . الغريب ليس ان يصرف المرء عشرة آلاف فرنك في اصغر سهرة .. بل في بكائه على الفرنك احياناً وفي حفظه عن ظهر قلب لائحة المواد المعفية من الرسوم الجمركية .

وصعق الموظف من رد وليد الحكم ، فاخذ يتوعده بقوله:

ـ ستكلفك هذه الكلمات غالياً . اجل ستكلفك غالياً .

ـ افعل ما شئت .. فقد كيفت حياتي كما لو لم يكن لك وللالوف من امثالك وجود .

قال وليد ذلك ثم خرج وهو معرض بنظره عن الجميع .

وفي غرفة عمله جلس بادي الهدوء ، كأن لم تك بينه وبين مقتسمي السكاير خلاف .

اثنان فقط من الناس ، يحتفظان بحالتها الطبيعية امام تقلبات الحوادث : الاعمى الجاهل الذي تمر به الحوادث فلا يلحظها ، والبصير الواعي الذي تنكشف امامه الحوادث ، مترابطة متساندة ، فيتحداها من خلال قوانينها وعواملها المسببة .

لقد كان وليد من النوع الثاني ..

ان شخصاً ارتقى عالياً في مدارج الوعي وارتوت عروقه بالروح النضالية ، يدخر جهده ومعرفته للمعركة الحاسمة . والمعركة الفاصلة تكمن في حياة الشعوب . وهذه لا تقرر في نقاش في مقهى ، او في اصطدام من اجل سكاير .

لئن احس وليد بالغبن الذي يسود العلاقات ، حتى بين الذئاب في اقتسامها قطعة من لحم ، فكم من اقتسام يجري على هذا النمط ، متكرراً كل يوم آلاف المرات ، صيده الحياة وضحاياه الاكثرية المسكينة الساذجة .

الغبن في الاقتسام حادث طبيعي في حياة اشمونيا ، حيث يلتهم القوي الضعيف ، وحيث تزدرد المدن انتاج الارياف بحيل شيطانية ، من تسليف على الانتاج ، الى مضاربة في الاسعار ، الى اجور عينية هزيلة واثمان بخسة.

وحيث تنقض فئآت اجتماعية معينـة ، مريضة النفس والروح ، على الثروة المركزة في المدن ، بطرق اكـثر تعقيداً وابعد حيلة ومكراً .وشرط النجاح في كل ذلك ، هجر الفعاليات الشريفة المنتجة ونبذ مفاهيم الشرف والاستقامة في المعاملة ، وطرح تعاليم السلف الفاضلة ووصايا الكتب المقدسة .

ارفع عن الانسان ملكة التفكير يصبح حيواناً . اعطه القليل منها ، على اساس من الانانية المريضة ، في مجتمـع فاسد النظم والقوانين ، يصبح شراً من الحيوان .

الفصل السادس عشر

# المعشوق المترفع

كانت ساهمة حالمة النظرات ، وهي ممددة على سريرها ويداها معقودتان تحت رأسها ، كأنما لتحمله الى دنيا جديدة ومفاجآت سعيدة .

فقد زال عنها ذلك الكابوس الرهيب ، الذي يحوم حول كل فتاة ، ويهصر روحها وفكرها هصراً ، منذ اكتمال انوثتها ونضجها للحياة الزوجية ، خوفاً من عدم الحصول على زوج ملائم ، في الوقت المناسب .

بالنسبة لوضع مثيلاتها ، يمكن القول ان فرانسواز، كانت موفورة الحظ . فكثيرات هن الفتيات اللواتي يصدمن مرات . هذا لا يتزوج لانه لا يريد ان يقيد حريته ، وذاك لانه يخشى ان

تخونه زوجته ، وذلك لا يفعل خوفاً من عدم اتفاق الامزجة .

قائمة الاسباب المانعة طويلة طويلة ، ولا يعرفها احـــد مثل العوانس .

حتى رامي لم يعدم حجة مع فرانسواز، رغم حبه الشديد المبرح . لقـــد تهرب من الزواج ، لا لشيء الا لأنه لا يريد الزواج ...

ولئن ابتأست فرانسواز آنذاك ، فهي اليوم تحمـد الله على اعراض رامي . لو انها تزوجت منه لما اتيح لها لقاء (اندره) وهو شاب متوسط الطول يميـل الى البدانة ، ويكبرها بتسع سنوات . اتيح لهما اللقاء في نفس المؤسسة ، حيث يعملان معـا. واينع حبهما تدريجيـــا ، معززاً بنقاط التفاهم العديدة ، ونزوع الطرفين الى حياة انيسة وديعة . ويوم لوح لها برغبته في الزواج منها ، احست كأنها صارت انساناً آخر .. بل طائر اله جناحان غير مرئيين .

يمكن لها ان تقول كل شيء ، الا القول بان الحياة ليست جميلة . وروحها ازدادت جمالاً وطهراً ، لدرجة انهـا قبلت بالخروج ثانية مع رامي . فقد دخل في روعها انها كانت شديدة في تصرفها معه ، فلما عرض عليها الذهاب الى المسرح ، رضيت دون تردد ، عاقدت النية على ان تكون في غاية الرقة واللطف .

وكادت تذهل عن وعدها ، الا ان ارادتهـا في مسح آثار مسلكها القاسي ، كانت قوة منبهة دافعة ، انتشلتها من دنيا اخيلتها في الوقت المناسب .

وانطلقت نحو الموعـــد ، في نفس المكان ، في ساحة الاوديئون ، عند اقدام تمثال دانتون ، خطيب الثورة الفرنسية الشهير ... وغريم رامي . لأن الاخير طالما حلم بفرانسواز ، وهي جاثية عند قدميه ، منهمرة الدموع ، معبرة له بصورة رمزية ، عن حبها الابدي المتدفق .

وفي طريقها الى ( المسرح الوطني الشعبي ) ، هطلت كلمات فرانسواز ، المقصودة الالطف المبيتة الظرف ، كقطرات الندى على مسمع رامي المسحور .

قالت له .. وليتها لم تفعل .. انها ستتذكر هــذه السهرة مدى الحياة ، فكان مفعول هذه العبارة كالسحر ، دفعت به الى تعديل خطته . اذ كان قد اختطمهاجمتها ، بصورة صاعقة تزلزل اركانها ، كما يفعل البطل في السينما ، فلما فاهت بعبارتها العجيبة آثر سلوك الطريقة المتعالية ، الـتي تسير الى نفس الهدف ، ولكن بصورة خفية ؛ وحين بلوغـه ، تسمح بتصنع الدهشة والتذرع بقوى لا ارادية ودوافع لا شعورية .

بما انها كانت راضية مستلطفة ، فلماذا لا يُرسخ هـذا الشعور في نفسها ، بتصرفه المؤدب المتحفظ !؟

وفي الاروقة الوسيعة المؤدية الى صالة المسرح ، سمع بين رَجع الاقدام المسرعة صوت فرانسواز وهي تسأل :

— قلت لي اننا سنرى مسرحية لشكسبير فما هي ؟

— عطيل .

— آه انا سعيدة لاني قرأت هذه القطعة واعجبت بها كثيراً . انتقاؤك كان في محله .

وارتسمت على محياه ابتسامة غرور ورضا . ألم يسجل نقطة انتصار جديدة !؟ ألم يتسلل الى نفسها في صورة شاب جميل الذوق حسن الاختيار . بما ان سر الشخصية كامن في الاعماق ، فأنّى لها ان تعرف انشكسبير هو الكاتب الوحيد ، الذي قيض له هذا الشرف العظيم : أي ان ينفرد ، من دون جميع الشعراء والفنانين ، بالانطباع على صفحات ذاكرة رامي . والفضل في ذلك كله لم يكن الا لمسرحية روميو وجوليت . كان رامي يجل ذلك النابغـة ، الذي اكتشف شخصيته وامكانيته ، قبل ان يولد بقرون .

اما ان يُطلب اليه تذوق الفن ، كفعالية مبدعـة تغني

نفس الانسان ، وتصرفها عن الاسفاف والسخف والمفسدة ، فذلك من ضرب المستحيل .

فقد ولد رامي دون استعداد متوارث للفنون ، ثم نشأ وترعرع في البيئة الاشمونية المحدودة ، ولم يحتك فيها وبعد سفره الا بالاوساط المتكلفة العجيفة .

وليس من ذنبه . اذا كانت جميع العناصر قد تضافرت في البيئة الاشمونية ، وحبست الافراد في قوقعة خاوية منعزلة عن الحياة الفكرية والنزعات الفنية .

فالذوق ينمو بالاستعداد الذاتي ، وبمحاكاة النماذج الموجهة . وفي اشمونيا كما في اي بلد آخر ، يولد الناس ولهم استعداد مختلف ، وملكات متباينة بحسب الافراد ، ظمأ لامتناه الى التقدم وتحقيق الذات . ثم تتدخل العوامل الخارجية من اقتصادية واجتماعية وسياسية . فتحجر هذه الامكانيات وتعيق تطورها ، او تساعدها بدرجات مختلفة .

ومن سوء الحظ ، لا يلاقي الاستعداد البكر الكامن في شعب اشمونيا ، الا آفاقا محدودة ونماذج منفرة .

فاذا ما تركت هذه النماذج المريضة المنفرة ، تلعب الدور الاساسي والموجه في حياة أمة ، فانها تغذي الانعزال والانكماش

وتشجع اللامبالاة والانانية ، وتميت الفكر الناقـــد والحس المرهف ، وتصرف الاذهان عن تحري الحقيقة وتعشق الفن والجمـال .

في مثل هذه الشروط ، ليس بعجيب ان تذبل براعم الزهور وتبـلى نضارة الورود . وليس بعجيب ان يكون رامي فاقد الاحساس الفني ..

فقد ذاق الامرين خلال ساعتين طويلتين ثقيلتين .. كل ذلك من اجل فرانسواز . وكان خلالها نهبة للاخيلية والافكار . استعرض مراحل انخذاله حتى يوم ظفره ، كما خيل اليـه بعد سماعه قولها : انها ستتذكر هذه السهرة مدى الحياة . وبدت له حياته سلسلة متصلة من الانتصارات . طبعاً ... من نوع انتصاره مع فرانسواز . وتحكم به شعور بالازدراء نحو ( عطيل ) ، الذي شك في حب زوجته.. مسكين يا عطيل اقتد برامي ، كن واسع الثقة بنفسك مثله . لا . لا . هذا مستحيل . فقد وجد رامي لنفسه مبررا وأي مبرر . انه جميل .. جذاب .. ذكي .. مثقف .. فلا سبيل الى المقارنة بينه وبين عطيل .

ثم تلاشت هـــذه الفكر ، لتترك المجال للبرم والسأم والضجر . يا للعجب ! . كيف يصبر الناس على سماع مهاترات الممثلين وثقل دمهم ؟! لا بد ان المتفرجين متكلفون وممثلون

يسخرون من انفسهم . ثم وجد لهم عذراً مشروعاً مقبولاً . لا يمكن ان يكون لجميـــع الناس مثل ماله من ذوق سليم وروح جياشة .

ولما خرج من المسرح ، كان يبدو كالمخمور . ولاحظت فرانسواز انتشاءه ، فصارحته بانها مثله ، مبهورة بجمال هـــذه القطعة وعمق تحليلها النفسي .

اما رامي فقد اخفى حقيقة مشاعره وايدهما في رأيهـا وبقي محافظاً على خطتــه المرسومة . ولم يحاول اقتطاف الثمرة الناضجة .

واوصلها بسيارته الى بيتها . وحين الافتراق ودعها بقوله:

ــ ( وانا ايضا لن انسى هذه السهرة مدى الحياة ) ..



الفصل السابع عشر

# العناكب المدرعة

اشخاص في القلب ، وآخرون على اليمين ، وآخرون على اليسار ، يتهافتون جمياً في صفوف متنابذة متناطحة . واشخاص يتطاولون ، وآخرون يتقاصرون ، في عرس الانانية ، بحثا عن مفرج امام منصة بيع الطوابع البريدية .

وامام نظر المستخدم ، تمتـد عشرات الايدي متراقصة ملوحة ، كأنها ايادي آله بوذي ، بينما الحناجر المصوتة تنبـه وتؤنب وتستفز .

والمستخدم المسكين يبذل المستحيل لارضاء نهم هـذا الاخطبوط : طابع بخمسين .. رسالة لايطاليـا .. ثلاث رسائل للبرازيل .. فكة عشر ليرات ..

مرّ علي بك بهذا الخضم البشري ، ثم مال الى اليسار حيث

تلقفته غرفة المشرف الرئيسي ، ثم لفظته بعد دقائق ، بعـد ان أمّن ارسال رسالة الى رامي . وفي طريقـه الى باب الخروج ، احس بغصة في حلقه ، فاستجمع انفاسه وجمع ريقه ، ثم بصق في بهو مركز البريد المبني على احدث طراز ..

شعر حينئذٍ براحة تامة شاملة . الم ينتـــه من قضية التاجرين المتخاصمين على وكالة شركةالنسيج !؟ . الم يبيض وجه رامي امام رؤسائه الذين اتهموه ، كما جاء في رسالته ، بالتقصير والتهاون !؟ ..

لكن كيف حل المشكلة ؟

لا يمكن للشخص البسيط المستقيم ، مهما يكن ذكاؤه ، تصور طريقة عمله . ويمكن للمرء ان يقص عليه ما جرى بامانة، ويقسم له باغلى الاشياء ان الحقيقة كذلك ، فانه لن يصدق ولن يتصور أن مثل هذه الحوادث تجري في القرن العشرين .

منذ اسبوع فقط ، كان علـي بك يدرس القضية ، كما يدرس القائد خريطة حربية . وكان يستعرض قـــوي كل من التاجرين . . .

وبدا له ، بحسب آخر معلوماته ، انهما متكافئان في القوة متعادلان في عدد ووزن الانصار . واحتار ايهما يؤيد وايهـــما

بخذل . ثم عنت له فكرة وجيهة ، فعمد الى كتابة اسميهما على ورقتين وسحب احداهما بالقرعـــة ، معيناً كبش الفـداء . ورشحت الصدفة التاجر الاول ، ليكون الضحية ، دون علمه او رغبته . الا انه احيط علماً من قبل احد ممارفه ، الذي عـــلم بالامر خـــلال مساعي علي بك ، فحشـد الحشود واستفر الانصار . وعلى صوته هب اكثر من نائب ، دعمـه احد كبار تجار الاراضي ، من ذوي التأثير في اواسط محترفي السياسة .

كذلك تقتل الفئآت الخبيثة فيما بينها . الا انها اذا جد الجد عصابة واحـدة تعتصب ضد الشغيلة والفنيين ، العمودين الاساسيين المكاملين في كل فعالية انتاجية ؛ وتضم خلقاً عجيبا من محتكري الاراضي ، الى تجار الحشيش والدماء ، الى اصحاب الوكالات الكبرى ، مدعومين بشبكة رهيبة قذرة من كبار الموظفين والسياسيين المرتزقين وهالةخانقة من القوانين التعسفية.

تبين لعلي بك ،بعد قليل،انه اخطأ في تقدير قوى التاجر الاول المضحى . ولام نفسه انه لم يرشحه منـذ البداية . انهـا القرعة لعنة الله عليها ..

فقد جر الى نصرةالتاجر الثاني، الفائز بالقرعة ، زعيم احد الاحياء الشعبية المكتظة بالسكان .. والاصوات الانتخابية.

كما حشد احد الوزراء السابقين ، المدين لعلي بك بخدمات جلى . فقد ،دعمه في الدائرة الفنية للبلدية ، وتمكن من تعديل المخطط العمراني ، وتمرير شارع اساسي امام اراضيه ، مما اربحه الملايين.

بالرغم من كل ذلك ،فان علي بك لم يحقق الا تعادل القوى ، الا ان المصاعب لم تثنه عن المثابرة ، فاستنفر وزيرا في الوزارة القائمة ، يتعلق به مهنيا ، ويتعاون معه في تهريب المخدرات . وامتلأت نفسه بالأمل ، بل اصبح واثقا مائة بالمائة من النتيجة .

انه سيذكر دائماً كيف زار الوزير في مكتبه في الوزارة وما جرى له خلال هذه الزيارة .

كان الوزير جالساً على كرسيه الفخم ، يستقبل وفود المهنئين ، الحريصين على تجديد الولاء للكرسي . نعم للكرسي . لان الوزير يتغير كل اسبوع ،او كل شهر في احوال الاستقرار .. اما الكرسي فيبقى .. ليحتضن كالبغي الوزراء المتقلبين عليه ، وكله ثقة بانه قد زوج من فئة ثابتة مخلصة ، يستشف روحها من خلال عشاقه العابرين المستوزرين .

في ذلك اليوم ، قيض للكرسي سماع اشرف حوار جرى على مسمعه . فقد ابتدأ علي بك حديثه بقوله :

ــ اتيتك زائرا ومهنئاً .

ــ اهلا وسهلا

ــ هناك مشكلة بسيطة ، سنحلها ونحن نحتسي القوة .

ــ انا في انتظار خدمة

ولما حضرت القهوة ، كان علي بك قد انتهى من شرح القضية ، فتناول القدح وهو يقول :

ــ يا صاحب المعالي .. يتحتم عليك تأييد مرشحي للوكالة.

وظهرت على الوزير امارات الارتباك ، الا انه تملك حيرته واجاب :

ــ يؤسفني ان لا البيّ طلبك . الاوقات اصبحت صعبة جداً. ضع نفسك في مكاني ، قبل ان تسيء الظن برغبتي في معاونتك.

ــ هل هذه العملية اخطر من التهريب ؟

ــ يا علي بك ! كن منطقياً . الاحوال تتطور بسرعة . من المؤسف انها تسير في اتجاه معاكس لرغبتنا . انما اعدك بشرفي ، انني سأخدمك خدمات اكبر ، اذا تحسنت الاوضاع في المستقبل .

ــ لعنة الله على المستقبل . اتريد ان اقيد حاضري في سبيل مستقبل مجهول .

ـــ ليته كان مجهولاً دائم الظلمة . اذا لكنا اكثر جرأة في اعمالنا . من سوء الطالع ، هناك قرائن تنفذ من المستقبل الى الحاضر ، مبشرة او منذرة . اما بالنسبة اليّ كسياسي ، فاني لاسمع البوم تنعق . وسأعمل بقدر المستطاع كي لا يصل نعيقها الى مسامعي .

ـــ أإلى مثل هذا المستقبل تحواني ؟ لا تتهرب . يجب ان تلبي طلبي .

ـــ انني اقر لك بكل صراحة ، انني بدأت اشعر بالخوف على حياتي السياسية ، من تزايد الوعي الجماهيري ، وان في نيتي التخلي جزئياً عن شخصيتي القديمة ، لارتدي شخصية جديدة ، اكثر تجاوبا مع الواقع ، واقدر على تحمل هجمات المنظمات المناوئة والحركات المناهضة .. ثم ..

وقاطعه علي بك قائلا :

ـــ كفاك تشاؤماً. سودت نفسي بصورك المشوهة المسوخة.

ثم سكت لحظة وعاد يتمتم :

ـــ تقدمية .. وعي .. جماهير .. تحرر .. لعنة الله على اليوم الذي ولدت فيه امثال هذه الكلمات الهدامة. لو اتيح لي ، لمسحتها من المعاجم وحرمت على الناس النطق بها ، ليشب الاطفال في

عالم جديد متحرر من هذه الالفاظ الخبيثة .

في ذلك اليوم خرج علي بك من زيارة الشخصية المفضّلة على الطراز الحديث وهو شارد اللب منقبض النفس . وسرعان ما استراح ضميره فقال في نفسه :

ـ فلافرض اني لما سحبت احدى الورقتين ، وقعت على التاجر الاول .

وهب من ساعته ، منساقاً مع هذه الفكرة فضم مؤيديه الى مؤيدي هذا التاجر ، فسحق باتحاد هاتين البليتين قوى التاجر الثاني ، الذي انسحب مكرهاً موجهاً جهده نحو صيد جديد .

كذلك مرت الحوادث في خلد علي بك بسرعة خاطفة ، وخفت في اثرها ابتسامة مطمئنة ، ارتسمت على وجهه البليد ، الراكن الى الحاضر ولا شيء سوى الحاضر .

ان وجه علي بك صورة مجسدة للواقع الاشموني الحالي المزيل ، وشخصيته تمثل الروح الموجهة في هذه البلاد العجيبة . ونجم عن ذلك ، ان اشمونيا اصبحت مرتعاً خصباً للفوضى والفساد . وتفشت فيها كسم الافاعي مفاهيم خاطئة عن الحكم والحرية والديموقراطية . وانتقلت مقادير الامور ، باسم انبل القيم ، الى الحثالة والصعاليك . وصار سيد القوم من لا يستحق ، بحكم امكانياته المبتورة ونواياه الاثيمة . الا التسيير بالعصا اذا

دعت الضرورة الى ذلك . فكيف اذن لا يصبح جوهر الامة مهدداً بالصدأ والعفونة ، ما دامت كل القيم معكوسة ، وكل الفعاليات الشريفة المنتجة مقيدة مستثمرة ، نتيجة لاعتصاب الفئات الخبيثة المترعرعة في ظل الرأسمالية وحمى الاستعمار !؟ وكيف لا تدوم المأساة ، والنخبة حائرة في استكشاف طريق الخلاص ، واستشفاف فكرة موجهة للعمل ؛ والجماهير متخبطة لانها محرومة من القيادة الواعية الامينة واللقاح الفكري المقنع المحرك ...

الا ان هناك فوارق ويا لها من فوارق ! .

فملي بك حبيس الحاضر ، يختلف عن اشمونيا المنفتحة الافاق نحو الماضي والمستقبل .

صحيح ان في حاضرها الكثير من السواد . انما لهاالف عبرة في ماضيها . فحضارتها الفنية السالفة متعددة الوجوه . وتراثها العقائدي كان وسيبقى من النوع الموجه .

صحيح ان في حاضرها الكثير من السواد . انما من الظلام سينبثق النور ، لان اشمونيا حبلى به .



الفصل الثامن عشر

*

# الاصفار المنفوخة

دخل وليد المنتصر على رامي المسعودي فالفاه جالساً مع المستشار وموظف آخر . ولم يحتج الى كثير من العناء ، ليدرك ان الجو مكفهر متوتر ، وان هناك خلافاً بين هذين الموظفين الاخيرين . فجلس يترقب هبوب العاصفة ، لعلمه انهما لن يتأخرا عن اظهار ما يعتمل في نفسيهما. وسرعان مادفعت المستشار طبيعته الحادة الى الانفجار ، فارتفع صوته شديداً حانقاً :

— يا لها من مؤامره دنيئة ! يا له من موقف خسيس . لقد انست اليك واعتبرتك صديقاً لي ، ففاتحتك بسري واخبرتك انني توصلت الى اقناع الدائر المركزية في وزارة الخارجية ، بتعييني قائماً بالاعمال في اسبانيا . الا انك ، لما سمعت بذلك ، اغتنمت الفرصة ودفعت عمك النائب الى مصادرة هذا المنصب .

لقد طعنتني في الظهر ايها الخائن ، كأقبح ما يكون الغدر .

عزّ على الموظف النادر ان يبقى ساكتاً . والمتعارف عليه بين قطاع الطرق ، التستر على الفضائح. والا فان الاعتراف يجر الاعتراف ، والتشهير يستدعي التشهير .

الا انه اعتبر المشكلة مسألة داخلية ، فنثر ما عنـده من ملامة : قال :

ـــ لم افعل ذلك الا اخذاً بالثأر .

ـــ اي ثأر يا لص ؟

ـــ هل نسيت صفقة الدولارات ؟ فقد عهدت اليك ، منـذ شهرين ، بمليون فرنك من القطع النادر المتوفر لدى ، لتشتري لي بها دولارات . ولما وقعت على مشتر ، يعرض شروطاً مغرية ، استبدت بك فكرة الربح، فاشتريت الكمية كلها لحسابك الخاص. ثم ارتفعت أسعار الدولار فجـأة وما زالت كذلك ، فسببت لي خسارة جسيمة .

ـــ أتريد ان تحيل الباطل الى حق ؟ كانت كمية الدولارات المعروضة محدودة ، ومن الطبيعي ان يبدأ الشخص بنفسه . على كل حال ، انا مستعـد لشراء ما معك من فرنكات على الحساب القديم ، لاثبت لك صدق نيتي .

ـ الوقت متأخر .

ـ على كل حال ، لا سبيل الى المقارنة بين قضيتين مختلفتين في طبيعتها .

ـ بالنسبة الى هناك تجانس ، ولقد ثأرت لنفسي . واحدة بواحدة .

ـ هذا لا يصح . اتريد نقل العادات العشائرية الى قلب باريس !؟

لم يشأ الموظف المختلس متابعة نقاش يجرح كل حججه فانسحب . اما المستشار المغبون فمكث دقيقتين ثم خرج ايضاً .

ولما خلا رامي الى وليد قال متنهداً :

ـ هما في واد ونحن في واد . الا تكفينا مشاكلنا الخاصة؟

ثم نهض من مكانه ، واتجه نحو النافذة ، وعاد الى الكلام وهو مسمر في مكانه وظهره الى وليد . قال :

ـ عندي لك خبران . الاول مفرح ، والثاني .. مؤسف . اما الاول فيخص روجيه . بلغه ان المشكلة قد انتهت ، وسينفرد التاجر الاول بالوكالة ، بعد ان تعهد بترك وكالة الشركة المنافسة . واما الخبر الثاني ...

وتوقف وهو محتار بين المتابعة او السكوت ، فسأله وليد مستوضحاً :

ـــ ما هو الخبر الثاني ؟

فرد رامي وقد قرر في نفسه عدم الكلام :

ـــ افضل ان تسمعه من الوزير المفوض . بعد قليل سيأتي فاستوضحه جلية الأمر .

وأن هي الا دقيقة ، حتى دخل الوزير المفوض . بجسمه المكتنز ، ووجه المنفوخ ، ونظراته الثعلبية ، فاستقبلاه بالسلام .

الا انه رد بجفاف ظاهر وتوجه بكلامه الى وليد :

ـــ لقد اطلعت على النبأ من رامي . فماذا قررت ؟

ـــ اي نبأ ؟ انا لم اسمع شيئاً مطلقاً .

فشرح رامي الموقف بقوله :

ـــ انا لم اخبره بشيء . فقـــد آثرت ان يطلع على الامر من مقامكم .

فرد الوزير المفوض :

ـــ لا بأس . لا بأس .

والتفت نحو وليد وقال له :

ـــ لقد بلغني المستشار شكواك الا انا مجبرون على تخفيض راتبك ؛ لان مصاريف المفوضية قد ازدادت ، بعد ان اضطررنا الى رفع راتب سائق السيارة الفرنسي . هذا من جهة .. ، ومن جهة اخرى ينبغي لك ان تقدم كل يوم ساعتين من العمل،زيادة على المدة المتفق عليها سابقاً ، لان اعمال المفوضية آخـــذة في الازدياد ، وليس بوسعنا استخدام موظف محلي جديد .

هبط هذا النبأ المزدوج السوادهبوط الصاعقة علىوليد. الا انه تمالك نفسه وأجاب في لهجة ساخرة :

ـــ عوضا عن رفع راتبي تلجأون الى تخفيضه . وعوضاً عن انقاص مدة عملي تعمدون الى زيادتها .

ـــ هذا هو الموقف، ما عليك الاالاذعان .. او ترك العمل.

وفجأة طلق وليد سكونه وانتفض كالوحش الهائـج يبعث الحمم المكتومة :

ـــ لم يخلق بعد المرء الذي يستطيع اذلالي . لو كنت اخدم في منظمـة شريفة ، ثم تبين لي انها في ضيق ، لعرضت عليهـا خدماتي مجاناً .

اما ان يطلب الي العيش في مغارة علي بابا ، مع طغمة من اللصوص تتفنن في اغداق النعم على نفسها ، ولا تتورع عن سرقة

ما بقمرجيي من دريهات ، فهذا مطلب مستحيل .. مستحيل .

واقبل على صياحه اكثر موظفي المفوضية والقنصلية ، بحثا عن تلهية تشغلهم . اما الوزير المفوض فكان بادي الذهول . واحس بغصة خانقة .. لانه كان يسمع لأول مرة موظفاً .. بل مستخدماً محلياً بسيطاً .. يرد في وجهه بهذه الصورة ، ويكيل له الصاع صاعين .

لم يألف معالي الوزير الا رؤية الموظفين حوله كجماعة من الطيور ، حذرين مرتجفين . وكان يعلم ان دوام سلطانه معلق ، الى حد ما ، بتوفر صفات العبيد في قسم من انصاف المتعلمين على الاقل .

لذلك صرخ قائلا ، وهو يرتجف من حـــدة الغيظ ... والدهشة :

ــ اخرج من مفوضيتي حالاً .. والا هشمت رأسك .

فاجابه وليد ببرود وتهكم :

ــ حتى المفوضية صارت ملكاً فردياً ..

وعاد معاليه الى الصياح :

ــ قلت لك : اخرج

فرد وليد في نفس البرود :

ــ خرجت يا صاحب المعالي .

ــ فصرخ الوزير مرة اخرى :

ــ اخرج يا وقح . اخرج قبل ان ...

ــ قلت لك انني خرجت . نعم لقد خرجت كموظف لم يستكمل صفات العبيد . الا انني عدت كمراجع وهذا من حقي كمواطن اشموني .

وكتم الموظفون ، رغم عدائهم النفسي الداخلي ، ابتسامة تناقض شعورهم الصحيح ، بينما استطرد وليد قائلا :

ــ اجل عدت كطالب اتي ليراجعكم في بعض أمره . وليس من قوة تستطيع اخراجي .

من الطبيعي ان ترتاح نفسكم لوجودي . فقد الفتم السيطرة والتحكم .. دون اي استعداد طبيعي لممارستها ، حيث ان اشجع الشجعان فيكم يتبخر ، اذا ما تعكر صفو الجو ولو قليلاً . وقادتكم نفسكم الدنيئة ، في ظروف عامة مشجعة ، الى جعل ادنى علاقة عمل ضرورية لحياة الافراد ، وسيلة لاذلالهم واستعبادهم . فالفلاح صار عبداً . والعامل اضحى جزءاً من الآله . والمتعلم

يخير بين التضحية بشخصيته في خدمتكم ، او الموت جوعاً ان بقي فيه ذره من الاستقامة والشرف . الا ان الوعي بدأ يدب في نفوس المستضعفين ، وقريباً سيشعرون بكيانهم الانساني .

اما انا فقد نفضت عن نفسي منذ ثوان .. بل منذ ولادتي هذه العلاقة المقيدة المستعبدة .

كان وليد يتكلم في اندفاع ثابت، وطلاقة مدهشة ،وهو يغرف من معين نضجه الفكري ، وثقته بنفسه ، وشعوره بالاستخفاف والازدراء ، تجـــاه الحثالة السائدة والصعاليك المتمسحين باقدامها .

وهبط عليهم كالسم القاتل قوله :

ــ اتطردوني ؟ يا للسخرية . ومن انتم حتى اكون منكم ثم اطرد ؟ .. هل انتم من النخبة الواعية الامينة المرشحة للقيادة؟ انى عبثا ابحث عن صفاتها المميزة بينكم . اذ ليس لكم ما يشترط فيها من سعة اطلاع ، واقبال دائم على المعرفة ، ومرونة نفس ، وانفتاح فكر ، وروح نضالية ، وعمـــل مستمر ، واستعداد للتضحية .

لعلكم اذن من الفنيين .. ولكني لا ارى فيكم رسوخ القدم

في احد فروع الاختصاص . وعلى كل حال ، لا ارى تطبيقاً مفيداً لمعلوماتكم ، ولا اتجاهاً صادقاً منكم نحو جموع الشغيلة ، رفاق الفنيين في اي نظام كان .

لا بد انكم من الشغيلة ...

تبا لي كيف نسيت ذلك ؟

ولكن اين يدكم المعروقة ، وذراعكم المفتولة ، ووجهكم الرجولي !؟ .

وسكت وليد قليلا ثم عاد يردد :

— انا منصرف عنكم بكل نفسي . ولم اشعر ، في أي يوم كان ، انني امت بالصلة اليكم . فليس لي اية علاقة مع اللصوص والدجالين والاشباح . نعم ، الاشباح لانه لم يقيض لكم قط دخول عالمي الخاص المتعالي . وقد عشت في سعادة تامة ، وانا مستغن دائماً عنكم . الحياة كلها تستطيع الاستغناء عنكم وعن اسيادكم وعن كل الفئات الخبيثة .. لانكم جميعاً اصفار .. اتسمعون ؟ انتم جميعاً اصفار .

عبثاً تحاولون تمديد بقائكم الزائل . وعبثاً تشتهون تجميد التاريخ ، او الرجوع بعجلته الى وراء . لو كنت وحدي ضدكم ،

لكتب لكم ولكل الفئات الخبيثة الخلود . الا ان منطق الحياة السليم الصاعد يسير ضدكم وبدينكم امام عيون الانسانية ، لتنفرد العناصر الضرورية بالبقاء .

الآن والآن فقط انسحب بمحض ارادتي ، اما انتم فسيضطردكم منطق التطور ، بلا رجعة ... الى الابد .

الفصل التاسع عشر

# احرار ... ولكن في السجون

كانا جالسين في مشرب صغير، يتساروان في احد اركانه المنعزلة ، وسحب الدخان معقودة فوقها كأنمـا لتحجبها عن الانظار . الا ان الجميع كانوا منشغلين عنها الى شربهم وحديثهم .

وارتفع صوت روجيه ضاحكاً . ثم سأل صديقه مستزيداً:

ــ قل لي يا وليد كيف كان وضعهم لما خرجت من القنصلية؟

فأجاب :

ــ كانوا واجمين كالأصنام ، كانما عُقلت السنتهم ، وجف معين فكرهم . فهم لا يحسنون الا اللف والدوران مع المساكين والبسطاء . فاذا ما انبرى لهم المرء ، ووضع النقاط على الحروف، فان شخصيتهم كلها تذوب وتضمحل .

ــ هذا عجيب .. عجيب جداً . في بلادنا ايضاً يوجد مثل هؤلاء الاشخاص . والحقيقة ان وضع بلادكم شاذ جـــدا . فقوة البلاد تكون في توازن ووحدة القوى المادية والفكرية والمعنوية . ومرض المجتمعات الاساسي يكمن في توزع هـــذه القوى وتنافرها . وهذه حال بلادكم . فالقوة المادية فيها صارت بيد المتذرين والسفهاء واللصوص ، الذين يهدمون بتصرفهم كل محاولة لارتقاء القوى المعنوية . وذلك ليس عجيباً بالنسبة الى ارض جزأها الاستعمار ، وبث فيها من روحه . ونخرت عظمها المرحلة الاولى الهوجاء من الرأسمالية ، فنبتت فيهـــا الفئات الخبيثة كالاشواك »

وتوقف روجيه عن الكلام ، واغمض عينيه قليلاً باحثاً عن فكرة جديدة يصف بهـا الاوضاع في اشمونيا ، بحسب ما تبين له من شروح صاحبه وليد خلال مدة صداقتهما . ولما لم يفلح سأل مستوضحاً :

ــ ارغب اليك ان تبين لي دور الفئات الحاكمة التي ترادفت على الحكم في اشمونيا بعد الاستقلال .

ولم تنقض نصف دقيقة حتى اجاب وليد :

ــ مضى على الاستقلال اكثر من عشر سنين . ويمكن

القول ان دور الحكام السياسي كان ، خلال هذه الفترة ، سلسلة متصلة من الاخطاء العفوية والمقصودة ، سارت بالبلاد من الفساد الافرادي المتخبط .. الى الفساد الجماعي المنظم ؛ حتى اصبحت الفوضى ، في عهد آخر تشكيلة سياسية حاكمة ، جزءاً من الحياة اليومية ، واضحى الغش والتلاعب والتحامل شكلاً طبيعياً لقضاء الاعمال وتمشية الأمور .

فقاطعه روجيه وهو يردد في تعجب :

ـــ الفساد المنظم .. الفساد المنظم .. حقاً هـذا هو الشكل الأعلى للعمل السياسي الاجرامي .

لكن .. كيف تفسر ارتفاع مستوى المعيشة بالنسبة الى بعض الفئات المتوسطة ، بصورة تحسدكم عليها البلدان المجاورة؟!

فأجابه وليد بسرعة خاطفة كأنما ليثبت ان الأمر بديهي:

ـــ استقلال البلدان المجاورة ليس سوى حبر على ورق . اما استقلالنا ففعلي رغم شوائبه ورغم حنين بعض الخونة من المغامرين السياسيين الى اوضاع البلدان المجاورة المستعبدة ، ليبنوا بجدهم السياسي الباطل على آمال الشعب المحطمة .

ولما اقتنع روجيه بهـذا التفسير الواضح ، عاد بالحديث الى بدايته واحب ان تشخص له قوى الخير ، بعد ان عرف قوى الشر فسأل :

ــ كيف سيكون خلاصكم ؟!

ــ اذا اردنا ان نحلل الأوضاع ، بالاعتماد على القوى الظاهرة ،فيمكن القول بان المنظمات التي تتجسد فيها الرغبة الجماعية في الانعتاق والتطور ما زالت في حالة التخبط ، رغم ما حققته من خطوات اكيدة في طريق الوعي، وهي لا بد منتصرة ذات يوم .. وحتى ذلك اليوم يعتبر تآخي الشعب والجيش الضمان الوحيد ضد المكائد والدسائس ومؤامرات الخيانة .

اما اذا اردنا التحليل على اساس القوى الكامنة فلنستعد المفاجآت .

اذ يهمس الهامسون بان المقاييس المألوفة ستتحطم ، وان احزاباً ، عليها كل مظاهر الحياة حالياً ، ستختفي من الوجود ؛ كما ان حلقات ومنظمات ، لم تشتبه نفس بوجودها ، ستطفو الى عالم الواقع مغذّاة بنسغ جديد ومدفوعة برغبة جبارة في تحقيق الخلاص والارتقاء .

ستهوي شهب عديدة زائفة النور الى ..

فقاطعه روجيه صائحاً وهو يبتسم :

ــ كفى . كفي . بلغت بكلامك حد الألغاز . دعنا من حديث الأوضاع العامة .. ولنعد الى وضعنا الخاص واسمح لي ان

اقول لك انك تحررت وانقذت روحك من العبودية بعد ان هجرت عملك في القنصلية .

- هذا لون من الكلام .

- اقصد بالنسبة الي . فانا ما زلت راسخاً في القيود متعلقاً دائماً بعملي البغيض . زد الى ذلك اني معذب الضمير .

- معذب الضمير ؟

- نعم يا وليد . انت تعلم اننا انهينا من قصة الوكالة . الا ان المسكينة فرانسواز تتعذب . فهي مخطوبة ، وعما قريب سيعقد لها على خطيبها . وهذا اللعين رامي ما زال يلاحقها . امس قدمت تشكو لي امره للمرة الثانية ، ناشدة الخلاص من مضايقاته .

فاجاب وليد مطمئناً :

- لا تعكر صفو نفسك . سأفاتحه بالأمر ، وسأقنعه بالكف عن ملاحقتها .

وتوقف عن الكلام لحظة ثم استطرد :

- دعنا من الذكريات السود . الليلة لنا . . وستكون ليلة فرح وانشراح . بودي ايها الصديق ان ادعوك الى احد الملاهي الشرقية . وسنشرب معاً نخب الأيام السعيدة التي تنتظرنا .

سنذهب اذا شئت الى ملهى ( الجزائر ) وهو ليس بعيد عن هذا المشرب .

— فليكن ذلك .

★ ★ ★

كانت الأنوار تنعكس وتتراقص على ميـاه الفسقيـة المصنوعة من المرمر الملون . وكان كل شيء في المكان ، يذكر بروعـة الفن العربي الاصيل ، الذي يعـبر عن ذاته بالخطوط الهندسية ، المتمازجة بالكتابة البديعة، والذي سما بالتعبير الشكلي عن اسفاف بعض الرسوم الشكلية والمجردة في الفن الحديث المجهض .

اما الرواد فكانوا حشداً عجيباً متناقضاً . فعلى الاطراف كان العشرات من السياح الاوربين والامركيين كما كان هناك بعض الفرنسيين والشرقيين ، متكئين على الارائك في ضجعة متراخية ، يصغون الى انغام فرحة باكية ، رتيبــة منطنطة ، تصدرها جوقة موسيقية جالسة في صدر الملهى .

وحين دخل وليد مع روجيه، اخذ العود يطنطن وحده كأنه يحتفي بقدومها . ولما غرقا في الوسائد المريحة، عادت المجموعة

الى العزف باكملها . وسهم الصديقان في افراغ الكؤوس الشفافة المترعة بالعرق اللبناني الشهير ، بينما كان الخدم يطوفون على الحضور باثوابهم المزركشة كالطواويس ، يوزعون الكؤوس والاباريق .

وبعد قليل ، لعبت الخمرة بالرؤوس ، ثم برزت للعيون الثمله راقصة في عز الشباب ، ممتلئة الجسم مرنته ، مكورة الثديين ، مقنطرة الحوض ،رفيعة الخصر، ورفعت يديها مستسلمة بكل مفاتن جسمها للانظار النهمة ، فبدت كعمود من المرمر الحي ، يناجي بكل اجزائه وبكل حركة من حركاته ، الانغام الفرحة الباكية ، الرتيبة المنطنطة .

ولاول مرة في حياته ، فهم روجيه الثمل ان الموسيقا العربية لا تدرك بالمخيلة كالموسيقا الكلاسيكية ، بل تبلغ بتضافر الحواس والغرائز . فهي من النوع الجنسي ولا تتذوق الامع الشرب والرقص المستفز . والا فهي مجموعة الحان باكية متراخية معدومة الفن والابداع

وما كادت الراقصة تنتهي ، حتى ارتفع صوت مغنية ، نصف فرنسية نصف جزائرية ، بالاغنية التالية :

طاف بالغروب رحيق المشرق    في كؤوس من ظلال الشفق
وروى الثغر بدمـع عرق    فبكي القلب على بنت الدنان

**

بين آهات السكارى اشرقت    غادة في كل وجه حدقت
صدمت روحه لمـا صدقت    فترامى فوق احضان الحسان

**

وتهادت مثل زهر النرجس    تعصر النهد بكف املس
فرغت كأمي و كأس الانس    فاملئيها قبلما يمضي الاوان

* *

ياحبيبي لا تحدق في الدجي    صحونا الليلة ما منه رجا
قد بلغنا نشوة لا ترتجى    نشوة .. العمر فمهلا يازمان

**

طلق الشعر قيود الابحر    ءـلا من صبوات السمر
لا تحدث عن ليالي قيصر    قبل ان نفنى.. بعثنا في الجنان

* *

مكث الصديقان في ملهى الجزائر حتى الواحدة ليلاً. وبعيدها بقليل، ريثما وهما يترنحان من السكر، في طريق ضيقة تؤدي الى ضفاف نهر السين. ثم سمع صوت روجيه يردد مقطعاً بالبكاء:

— صديقي تحرر. اما انا فما زلت راسخا في القيود. كنت طول عمري جباناً جشعاً.

— انت احسن مما تظن يا روجيه.

— كلا. انني جشع. والا فما معنى عملي في التجارة، مع ان كل ميلي الى الهندسة الميكانيكية. بل اكثر من ذلك... انني ساقط نذل. لعلك لا تعلم ان شركتنا تعمل، بالاتفاق مع بعض السياسيين في بلدكم، على قتل كل محاولة لبناء معمل وطني ينتج نفس البضاعة. ان خطتنا مجرمة.. منحطة كنفوسنا.

وكاد يسقط على الارض. الا انه اعتمد على صديقه، ثم استطرد والدموع تنهمر من عينيه:

— ساحرر نفسي من رجسها. ولئن كانت حياتنا كسجن، فانني لن اساهم في وضع السلاسل على يدي. على الاقل، ساعمل على ان تكون لي حرية التنقل داخل هذا السجن. سأهجر عملي غير آسف سأتحرر.. سأتحرر؟

ثم اتجها نحو ضفة السين ، حيث يلجأ المتشردون عادة تحت الجسر . وكانت ليـــلة من ليالي الصيف البديعة . وكان السكون مخيما على مياه النهر . فنزلا الى الضفة حيث لحا جماعة من المتشردين ، فاقبلا عليها صائحين معربدين :

ـ اهلا بالرفاق . اهلا بالرفاق .

وصاحت بها متشردة عجوز تشبه الشيطان :

ـ تركتما عالم ما فوق ، وكذبه واحابيله وحريته المزيفه ؟

وايدها احدهم بقوله :

ـ ودولته الموقرة العادلة .

وصاح متشرد عجوز ، قصير القامة طويل اللحية :

ـ طوبى لمن يختار مملكة الحرية المطلقة والانعتاق الشامل.

ثم رفع زجاجته الى فمه . واخذ يمص منها جرعات كبيرة سال اكثرها على لحيتـه الكثة القذرة ، وثيابه المهلهـلة . ورد روجيه شارحا :

ـ نحن مجرد زوار قدمنا من العالم العلوي لنغسل همومنا .

واضاف وليد :

ـ نحن اكثر من زوار . نحن شبه اصدقاء . انـتم اعداء

الوضع من الظاهر . ونحن اعداؤه من الداخل .. الدولة ..
وما هي هـذه الدولة ؟! عصابة من اللصوص تتحد من خلال مصالحها ، لتفرض ارادتها على الجميع .

وقاطعته المتشردة العجوز وهي تصرخ :

— كفى .. كفى .. فهمنا من انتما .

ثم نظرت اليها في ازدراء .

بدأ هواء الليل المنعش ورائحة المياه الجارية ، واصطفاقها اللطيف على جنبات النهر تنتشل الصديقين من تخدرهما .فاستعدا للانصراف عن جماعة المتشردين وهما يصيحان :

— وداعاً ايها الرفاق .

وتبعها صياح المتشردين :

— الى الجحيم . الى الجحيم .

على حين بصق المتشرد العجوز على الأرض بشدة وصرخ في اتجاههما :

— خونة .. متعاونون ..

ثم رفع الزجاجة الى فمه من جديد .

الفصل العشرون

# وحدة الحياة

انفتح الباب ودخلت « الزا » حاملة في يدها باقة زهر صغيرة . واتجهت نحو المغسلة ، دون ان تلتفت صوب وليد الذي كان جالساً على السرير في غرفته .

كانت هذه الغرفة متوسطة الاتساع ، مربعة الشكل تقريباً ، جدرانها ملبسة بالورق الوردي الكاشف ؛ ولها نافذة واحدة تقع تماماً مقابل الباب وبها كل ما يحتاج اليه الطالب عادة من مغسلة وطاولة وخزانة ..

وارتفع صوت الزا بقولها :

ــ اخيراً عاد الى وجهك لونه الطبيعي . فقد بقيت اكثر من اسبوع ، بعد سكرتك الملعونة مع « روجيه » ، اصفر الوجه شاحب العينين .

وكان بودها الاسترسال لولا انه قاطعها قائلاً :

— كفاك حديثاً عن تلك الليلة . عوضاً عن تكرار نفس الملامة اكثر من الف مرة ، افتحي المذياع على محطة باريس ، فقد حل برنامج « اعملوا على نغم الموسيقى » الصباحي .

ولما انتهى من كلامه ، كانت قد فرغت من وضع الباقة في كأس ماء . فحملتها ووضعتها على حافة المدفأة الحائطية الواقعة الى اليمين بالنسبة الى الباب . ثم شغلت المذياع وركزت الابرة على محطة باريس وعدلت الصوت ليصبح مسموعاً بصورة لطيفة. وما كادت تهم بالجلوس على الكرسي الى يسار المدفأة حتى ناداها وليد بقوله :

— تعالي واجلسي على السرير بجانبي ، لنسمع الموسيقا معا .

وردت وهي تتجه صوبه :

— يجب ان اجلس بعيداً عنك ، لأنك شرير .. تهمل ملاحظاتي اذا نبهتك الى ما فيه مصلحتك.

ثم جلست الى يساره ، فاحاطها بذراعه هامساً في اذنها:

— هل انت زعلانة ؟

فاجابته في دلال :

— نعم . جداً .. جداً .

واذ هو يشدها اليه مداعباً ، وقعت انظارها على بطاقة بريدية كانت موضوعة على الطاولة الصغيرة اللاصقة لرأس السرير من طرف اليمين . فمالت بصدرها نحوه وايدوهي تتطاول لتأخذها، الا انه احب مداعبتها قليلا ، فامسك برسغها بشدة واخذ يطبع على عينيها قبلا صغيرة متقطعة ، ليمنعها من رؤية البطاقة . فما كان منها الا ان ارتدت ، وعادت الى جلستها السابقة واطرقت رأسها وشبكت ذراعيها . وانقضت عدة ثوان وهي على هذه الحال .. ساكتة واجمة ، فبادرها بقوله :

— هل انت مجنونة ؟! ماذا دهاك ؟!

لم يدرك وليد سبب هذه الحساسية الزائدة ، رغم انه كان يعلم ان التصرف عند المرأة الحساسة يخضع لمؤثرات فكرية سوداء عارضة تنفثها مخيلة جامحة تترجم الواقع بصورة غامضة وشخصية. فتصبح المرأة حينئذ كأوراق الشجر .. ترتجف لأصغر نسمة .

ولم ير بداً من اعطائها البطاقة . ففعل وهو يقول مفسراً :

— استلمتها هذا الصباح . ارسلها الى رامي المسعودي من مدريد . انت تعرفينه دون شك . فهو ذلك الشاب الذي عرفتك اليه يوم التقينا بك في حفلة المدينة الجامعية ، ثم اختفى عن انظارنا دون سابق انذار .

فسألته وقد عادت بسرعة الى حالتها الطبيعية :

– ماذا يفعل في مدريد ؟ هل هو في رحلة سياحية ؟

وقهقه وليد ملء صوته . ثم اجاب وضحكته لما تنته :

– لم يرحل اليها في سياحة ؛ بل التحق منذ يومين بوظيفته الجديدة . فقد عُين قائماً بالاعمال فيها ، بعد ان سبق اثنين من زملائه كانا يقتتلان من اجل هذا المنصب على مسمع منه ..

– قائماً بالأعمال .. ؟! انا لا افهم حجتهم في هـذا الترفيع الاستثنائي .

– هل تظنـين ان السلطات الأشمونية عاجزة عن ايجـاد الاسباب الموجبة ؟!

– طبعاً عاجزة .. الا اذا اختلقت مبررات وهمية .

– مسكينة يا الزا . انت لا تعلمين شيئاً عن الحياة . هناك الف وسيلة ووسيلة، تأخذ كل منها اصولها من الواقع ، ثم تترجمه بمقتضى الغايات الشخصية .

– عجيب .. عجيب .

– لا تتعجبي . فكل شيء ممكن في اشمونيا . اطلبي اليهم مثلا اداريا في شؤون الذرّة فانهـم يقدمون لك الف واحد . ولكن حذار ان تطلبي اليهم في نفس الوقت ان يضمنوا النتائج.. ولو منذ اول عملية وابسطها ..

ــ والامور مع ذلك تسير !؟

ـ هي في سير دائم . . ولكن بصورة توكلية . . والشفيع في كل ذلك طغيان السلطة وانعدام المسؤولية . . وغفلة الرعية .

ـ انت تبالغ !

ـ لا ابالغ ولا اخترع . وتأكيد كلامي الاول اذكر لك على سبيل المثال انهم ، لترفيع رامي المسعودي ، احتجوا بدوره الفعال في حل مشكلة احدى الوكالات ، بما فيه مصلحة البلاد والوطن . واذا كان العمل وطنياً . . قومياً . . اشمونياً . . فمن يجرؤ على تجريحه !؟ .

***

كانت الزا تتتبع حديثه في شغف واعجاب . وما زال عنها انفعالها الغريزي العابر الا لتقع فريسة الانخطاف الهادىء المتأمل .

كانت تقول بينها وبين نفسها : « لو انني التقيت به ، قبل انغماسي في حياة التقلب ، لجعلت منه حبيب حياتي الوحيد ولتبنيت عن اقتناع افكاراً اخرى »

واخذت تحدق في وجهه الحنطي القاسي وفكه العنيد ، وعيناها تفيضان برغبة الاستسلام الكلي . اما قلبها فكان يتقطع

وهي تلحظ نظراته الثاقبة المركزة ، التي تنذر بالبطش وتوحي بالحنان . ثم رفعت يدها اليسرى ومررتها بلطف على شعره الكستنائي الذي تخفي منه الخشونة تموجات خفيفة فيه . بعد ذلك ، اسندت خدها الايمن الى صدره مستسلمة لنشوة الاحلام الزاهية .

أما هو هو فأخذ يسرح نظره في جسمها الساحر الفاتن . وعلى صفحة ذهنه ، ارتسم طيف فتاته المثالية ، فلم تكن مخالفة لها في جمال الجسم . بل تبين له ان كثيراً من مزاياها النفسية تتفق مع صفات موجودة في الزا . فما كان بوسع هـذا الطيف المثالي ان يكون افضل منها في رقة الانوثة ولهفة التمازج الروحي ، او اكثر منها غيرية في المداعبة والملاطفة والغزل .

وبالرغم من ذلك كلـه ، كانت له تحفظات وتحفظات . وحمد ربه ان طبيعة آراء إلزا تدفـع عنهـا حديث الحب وفكرة الزواج .

اليست اسعد لحظات الحياة واتعسها هي حين تطل النفس على الواقع والخيال فتراهما متفقين ومختلفين . . !؟

كان يحس انه يعيش في مجتمع متقلب غدار ، وان عليه ان يحتفظ بطاقته النضالية كاملة . . ليكون قادراً على التحدي في كل يوم . . وعلى الابتداء دائماً من جديد .

زد الى ذلك انه بدأ بالميل اليها . وبداية الحب .. بداية التشدد والاستقصاء . الا ان شخص الحبيب كان يبدو له ضمن هذا الاطار الاجتماعي المريض ، كشخص مجهول يظهر بوجه ملاك .. وقد يضم في حنايا نفسه ، روح ابليس .

هذا الاحساس يطوف في نفس كل رجل واع ..وسيبقى حتى تسود اوضاع تعين الخطوط العامة لمناهج التصرف والتفكير ، دون اهمال رغبات الشخص العميقة .

الحياة المنسجمة هي التي توازن بين هذين القطبين . اما الحياة الحالية فقد اضطرب فيها محور التوازن ، فاكد كل من الطرفين نفسه بصورة مطلقة . حب فردي متقلب اناني بشكل جنوني وحياة اقتصادية اجتماعية قاهرة مستعبدة .

لم يكن هذا التفتق العاطفي بجديد على قلب وليد ؛ فقد احس بولادة نفس الاحاسيس مع اخريات ..

فالعاطفة تعين الحبيب بصورة تقريبية ، من بين جماعة .. فهو لذلك متعدد فرضاً . والسياج الاجتماعي وحده يجعله وحيداً صحيحاً كاملا . وهو وحده يكسب وهم الاحباب ، حينما يهمس احدهم للآخر : سأحبك حتى الموت ، نوعاً من الامتداد النسبي .

والا فانها كثيراً ما تعني انطباعة عابرة ؛ قد تشتعل وتنطفىء في ليلة واحدة فقط ..

الحبيب المثالي هو ذلك الذي تصطفيه ارادة حرة واعية، في مجتمع منظم يلزمها بانتقائها .

وارتمت انظار وليد مرة ثانية على جسم الزا الصارخ ، فسرت في نفسه هزة انتشلته من شروده الحالم . واقبل عليها يحرقها بقلبه العطش .

ثم همّ بها . . الا انها دفعته وهي تهتف في حرقة مؤلمة:

ـ انت لا تفكر الا في ذلك الشيء . . .

ـ وانت فيم تفكرين ؟

وكادت تقول : في الحب ،في الزواج . الا انها ادركت ان الواقع يلتهم انتقاءها الحر فسمّرت انظارها في وجه حبيبها . . . واطلقت العنان لدموعها الولهى .



انتهت

# للمؤلف

١ – مع القافلة الشعرية : الجزء الأول ويتضمن الوطنيات والفلسفيات .

٢ – مع القافلة الشعرية : الجزء الثاني من الديوان ويتضمن الاشعار الغزلية .

٣ – اثنان + صفر = ثلاثة « قصة »

جميع الحقوق محفوظة
للمؤلف




مطبعة الشرق انطوان فالوح وشركاه حلب